تاريخ النياحة

على الإمام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام

تأليف

السيد صالح الشهرستاني قدس سره

١٣٢٥ - ١٣٩٥هـ

الجزء الأول

تحقيق وإعداد

الشيخ نبيل رضا علوان

دار الزهراء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

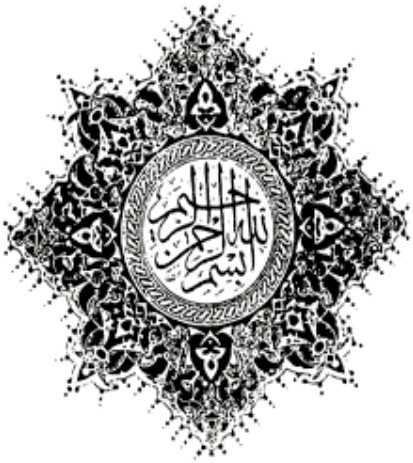
بسم الله الرحمن الرحيم

الاهداء

الى سيدي ومولاي سيد الشهداء الامام الحسين عليه أفضل الصلاة والسلام

الى ريحانة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله

الى سيد شباب أهل الجنة

الى ثار الله وابن ثاره

الى رائد الحق، والهدى، والتقى

اقدم هذا المجهود المتواضع في احياء الكتاب محققاً وكلي أمل بالله تعالى ان ينال رضاكم، وأن يكون ذخراً ليوم لا ينفع مال ولا بنون إنه سميع الدعاء.

خادم أهل البيت عليهم السلام

نبيل رضا علون

قم المقدسة

دار هجرة في ٢٦ - صفر الحرام - ١٤١٦ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم سماحة حجة الاسلام والمسلمين

المحقق السيد احمد الاشكوري

دام عزه

« آل هاشم » و « آل أمية » فرعان من أرومة واحدة، فان عبد مناف بن قصي كان له ابنان: هاشم (واسمه عمرو بن عبد مناف)، وعبد شمس بن عبد مناف الذي خلف ابنه أمية، فهما جميعاً من ولد عبد مناف لو صح انتساب أمية إلى هذه الأسرة، فان جماعة من النسابين والمؤرخين يشكون في صحة هذه النسبة بما لا تتسع له هذه الكلمة العابرة.

كانت السيطرة على العرب في الحجاز الجاهلي لهذه الأسرة، وانتهى اليها السيادة على القبائل المنبثة في القرى والأودية، لأنها سكنت مكة المكرمة الممتازة بالبيت العتيق الكعبة المشرفة التي كانت بيت الله تعالى وجعلها المشركون مقراً لأصنامهم التي كانوا يعبدونها من دون الله، فهي لذلك مهوى الأفئدة ويزروها العرب من شتى البقاع البعيدة والقريبة، يطوفون كلهم بالبيت طواف المتعبد الناسك، والموحدون اجابة لنداء إبراهيم الخليل عليه السلام، والمشركون خضوعاً للأوثان الموضوعة على الكعبة وحولها.

كانت الأسرة تتولى رفادة الحاج والسقاية وتقوم بادارة شؤون الزائرين الوافدين من مختلف الأصقاع القريبة والبعيدة، ولها الكلمة العليا والرئاسة الدينية (إن صح التعبير) والدنيوية، ولكن كلا الفرعين لم يتبادلا بينهما المودة والصفاء بل

كانا في جدال دائم تظهر على مسرح الأحداث الواقعة بينهما بألوان شتى، من مشادات كلامية أو مشاحنات تجعلهما صفين متقابلين أو متقاتلين.

يذكر بعض المؤرخين أن هاشماً وعبد شمس ولدا توأمين، فولد هاشم ورجله في جبهة عبد شمس ملتصقة، فلم يقدر على نزعها إلا بدم، فكانوا يقولون: سيكون بين ولديهما دماء، فكان كما تشاءموا ووقع بين بني هاشم وبني أمية بن عبد شمس ما وقع من الأحداث الدامية.

لا أعلم مدى صحة هذه القصة التاريخية التي يتناقلها جمع من المؤرخين، ولكن حدوث أشد الخلاف بينهما على مدى عشرات السنين لو لم نقل مئاتها، واقع تاريخي طفحت به الكتب وتحدث عنه المحدثون فلا يمكن انكاره. ومن العجب انك ترى بني هاشم على طول الخط ينادون بالتوحيد والخير وبني أمية ينحازون إلى الشرك والشر، حتى إذا اجبروا - ولأسباب ظاهرة أو خفية - على الانضواء تحت راية الدين وترك الشرك فانهم يدأبون على الكيد به ويحاولون بكل جهدهم هدمه بأسم الدين.

ان أبا سفيان قاوم دعوة النبي الكريم ﷺ بكل ما أوتي من حول وطول، أثار الحروب الطحناء وجمع المشركين في صفوف طويلة معادية للنبي، فلما جاء فتح مكة ودخل الناس في دين الله أفواجاً ولم يجد بدأ من الرضوخ للحق، أظهر كلمة الاسلام بلسانه حقناً لدمه ومحافظة على نفسه، ولكنه في نفس الوقت يقول للعباس بن عبد المطلب « ان ملك ابن أخيك لعظيم » إنكاراً للنبوة وتوجيه الانتصار الالهي الى أسباب دنيوية كالأسباب التي تتأتى للملوك. ويحرض علياً عليه السلام على القيام بعد بيعة السقيفة، هادفاً من ذلك شق عصى المسلمين وإعلان الخلاف في تلك البرهة العصبية لتحقيق ما في نفسه من تحطيم الاسلام وهو لا يزال فتياً لم ترسخ قواعده كل الرسوخ. ويقوم بعد البيعة لعثمان مخاطباً أحداث بني أمية « تلقفوها » ... وهكذا دواليك من المواقع التاريخية التي تراه يحاول فيها اثارة الفتن

وضرب المسلمين بعضهم ببعض، إلا أن الله تعالى حفظ الأمة من مكائده الخفية فلم تنجح خططه ضد الدين.

أما ابنه معاوية بن هند فاستولى على الخلافة الاسلامية غاصباً لها بدهائه ومكره وخديعته، وتّكل بالمؤمنين المخلصين للبيت النبوي - وعلى رأسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - أشد تنكيل، فأباح الدماء وهدم الدور وشرد الناس حتى أصبحوا لا يجدون مأمناً لهم في أرض الله العريضة، بالاضافة الى ما صنع بالامام الحسن السبط من نقض العهود والخلاف عليه وسقيه السم على يد جعدة بنت الأشعث.

ولو كان معاوية يتظاهر بالدين في حالات خاصة ويتذرع به في مناسبات تدعو الساسة اليها، فان ولده يزيد جاهر بالفسق والفجور واستهزأ بالدين على رؤوس الأشهاد حتى قال غير متوجل ولا متأثم:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

وبالرغم من أنه لم يحكم إلا فترة قصيرة ظهرت منه ثلاثة من الأحداث تقشعر منها جلد كل مؤمن يدين بالله تعالى (قتل الحسين عليه السلام، ضرب الكعبة بالمنجنيق، واقعة الحرة بالمدينة)، وهذه لا تعني إلا عداؤه الشديد للدين ومحاولة قلع الاسلام من جذوره.

كان الاسلام في هذه الفترة خاصة يحتاج إلى تضحية جادة من المسلمين ليظهر ما في قلب آل أمية من كرههم المستحكم للدين ونواياهم المخبأة لهدمه، هذه الطغمة الفاسدة التي يمثلها يزيد بأعماله النكراء باسم الخلافة الاسلامية. ان الإخلاد إلى الدعة امضاء لما كان يجري على يدي يزيد العهر، والوقوف في وجهه كشف لما يبّته الكفر من محق وسحق الكرامات.

ان النهضة كانت واجباً فرضه ولو تؤول الى القتل والاستشهاد، بل ان الاستشهاد كان ضرورة لتجديد حياة الأمة الدينية، وهو صرخة كان لابد من

اطلاقها لتبقى مدوية على مدى القرون الآتية تسمعها الأجيال المتعاقبة وتستلهم منها دروس الصمود أمام ظلم الظالمين وطغيان المتحكمين.

من هذا الواقع المؤلم الذي أصبح ملموساً لدى الغيارى من أبناء الاسلام، ثار الامام الحسين عليه السلام، وخرج من حرم الله تعالى مبدلاً الحج بالعمرة ميمماً صوب كربلاء بأهله وأصحابه، وقدم ضحايا من إخوانه وأولاده وبني عمومته والخيرة من أصحابه الميامين، وخط أبو الأحرار بدمه المقدس ودمائهم الزاكية خطوطاً من نور هي عنوان المجد والشرف، تبقى نبراساً وضيئة تثير في العصور المتتابعة الشعوب المستضعفة في وجه الطفاة المسيطرين في أرجاء العالم.

ان الحسين عليه السلام وفد على ربه مرفوع الرأس بالشهادة والكرامة، ويزيد وافى مبوأه بمخازيه وشنائعه، وحسابهما على ربهما كما يقولون .. ولكن الخط الالهي المستقيم المتمثل في آل الرسول والانحرافات الشيطانية المتعرجة المتمثلة في آل أمية لن يزالا في صراع مستمر على الصعيد البشري، معارضة الخير لاستثمار الانسان واستعماره على حساب الطغاة مستمرة باستمرار البشرية، هذا يريد أن يكون الانسان كريماً في حياته حراً منطلقاً من أغلال العبودية إلا لله تعالى، وهذا يسرح الانسان في نزواته وشهواته ولو على حساب التخلي عن كرامته والرضوخ الى ما يمليه حكام العسف والجور.

ان الطواغيت في كل عصر وزمان يحاولون الحط من كرامة الدين لتحقيق مآربهم، فتعمل أياديهم دماً على التشكيك في المقدسات وايجاد الشبهة الواهية وصرف العوام - بل والعلماء في بعض الأحيان - عن لباب المسائل الدينية واشغالهم بالقشور التي لا طائل تحتها ... فتجند الطاقات الهائلة لهذه الاغراض الفاسدة التي تصبغ كثير منها بصبغة الدين ويتم إنجاز باسمه وبعنوان الدفاع عنه، وهي في الحقيقة مبطنة بالعداء والحقد عليه وعليه والعمل على هدمه.

وابتلينا نحن أيضاً في عصرنا هذا بهذا المرض الوبيل، فان طغمة فاسدة من

المتسترين بستار الاسلام يثيرون كل يوم شبهاً ليست بالجديدة على المسلمين ولكنها تظهر بأثواب جديدة، فانها أثيرت من قبل وأجيب عليها مرات بأجوبة كافية شافية وباساليب مختلفة. وجملة من هذه الشبهة تدور حول حركة الحسين عليه السلام، وهي محاولات خائبة لاطفاء وهجها وإخماد نورها والاقلال من عطائها وحيويتها وإضعاف حركتها في مقاومة الباطل ومجابهة الظالمين.

هل واقعة الطف بتفاصيلها حق أو دخل فيها ما ليس بثابت؟ وهل كان الحسين يقصد بحركته قلب دولة وتحديد حكومة أو كان يريد اقامة الأمت والعوج؟ وهل كان يعلم بما يؤول اليه أمره أو لا يعلم؟ وهل كان فعل الحسين من قبيل القاء النفس في التهلكة أو لا؟ وهل العطش المنسوب إلى سيد الشهداء وأهل البيت صحيح او أو لا أصل له؟ وهل يجوز تحديد ذكرى مجزرة الطف بالبكاء واللطم وغيرهما من الشعائر الحسينية أم هي بدعة لا تجوز؟ وهل كان المسؤول عن قتل الحسين يزيد بن معاوية أو غيره؟ وهل تاب يزيد عما فعل أم مات هو غير تائب؟ وهل؟ .. وهل؟ ..

لقد كتب علماء الشيعة وكتابهم كتباً ورسائل ومقالات وفيرة جداً في الذب عن قصة الحسين عليه السلام والاجابة على هذه الشبهة، ولكن الذين لا يروق لهم إخلاد المسلمين الى السلام والوئام ووحدة الصف والتفاهم الأخوي، لا زالوا يثيرون هذه الترهات من جديد ويلجؤن الشيعة الى كتابة الكتب والرسائل للكشف عن الحقائق مرة بعد أخرى، وتثار في كثير من الأحايين باحياء هذه الأقاويل فتن تمزق صفوف الأمة وتهئ أرضية خصبة لسيطرة العدو المستعمر.

والكتاب الذي نقدم له بهذه الكلمة « قامعه أهل الباطل بدفع شبهات المجادل » هو واحد من تلك الجهود الموفقة التي بذلت في سبيل الرد على بعض المناقشين في اقامة عزاء الحسين عليه السلام وتحديد ذكراه الأليمة، وهو تأليف العلامة الفقيه الشهير فقيد العلم والتقى الشيخ علي الستري البحراني، كتبه مستنداً إلى ما

صح من الأحاديث المروية والوقائع التاريخية المنقولة في المصادر المعروفة، وقد أثبت في مطاويه صحة اقامة المآتم ومشروعيتها وجواز البكاء وقراءة المقتل ولزوم متابعة الأئمة من أهل البيت عليهم السلام في ذلك.

وقد أحسن أخونا فضيلة العلامة الشيخ نبيل علوان حفظه الله تعالى باحياء هذه الرسالة وتحقيقها بالشكل الذي يراه القارئ الكريم ماثلاً أمامه، كما أنه اجاد باضافة خطاب العلامة الحجة السيد علي مكي الذي انبرى فيه لدفع شبهة بعض مدعي العلم، وهي اضافة موفقة لاكمال موضوع الرسالة وحل الشبهة من كل جوانبها.

كما أنه أحسن فعلاً بتحقيقه رسالة « تاريخ النياحة » للكاتب المحقق المرحوم السيد صالح الشهرستاني، وهي رسالة مبتكرة في موضوعها جمعت أطراف البحث بدقة وطرافة، وكانت قد طبعت في جزئين صغيرين طبعاً غير دقيق، وستبرز في هذه الطبعة - بعون الله تعالى - بالشكل اللائق بها.

ونحن اذ نبتهل إلى الله تعالى بالتأييد لاقامة الحق ودفع الباطل، نرجو لأخينا الشيخ التوفيق المطرد في أعماله النافعة، وهو عز وجل خير مؤيد وموفق.

قم - ٢٥ شوال ١٤١٥ هـ

السيد أحمد الحسيني

مقدمة المحقق

بعد التوكل على الله، نبتدئ بالحمد لمالك الحمد كله، والثناء عليه بما هو أهله، والصلاة على سيد المرسلين، وخاتم النبيين محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطاهرين الذين هم أحد الثقلين، والمقرونين بالكتاب المبين.

حياة المؤلف

ولد السيد صالح الشهرستاني في كربلاء (مسقط رأس أبيه وأجداده) ليلة عيد الغدير ١٨ ذي الحجة ١٣٢٥ هـ الموافق لعام ١٩٠٧ م وقد أتم دراسته الأولية من قديمة وحديثة فيها وفي أوائل الحكم الوطني في العراق انتقل إلى بغداد حيث أتم فيها دراسته العالية متخرجا من جامعة آل البيت. وكانت الجامعة الوحيدة آنذاك. وفي أواسط سنة ١٩٣٢ م اضطرته ظروفه الخاصة للنزوح الى طهران (عاصمة ايران) وفيها تخرج من كلية الحقوق والعلوم السياسية. وهو أديب في اللغتين العربية والفارسية وآدابهما وكاتب ضليع فيهما له تصانيف بهما بالإضافة إلى المقالات الأدبية والسياسية والتحقيقات التاريخية والأبحاث الاجتماعية التي دبجته وتدبجه يراعته بهاتين اللغتين ونشرته وتنشره له أمهات الصحف والمجلات العربية والفارسية سواء في العالم العربي أو في إيران بتوقيعه الصريح والمستعار أو

بدون توقيع.

كما أن له مقاماً مرموقاً في دائر الصحافة الإيرانية وخاصة جريدة إطلاعات (أكبر الصحف الإيرانية اليومية على الاطلاق) التي ساهم في تحرير صحفها مدة تنوف على الخمسة عشر عاماً.

ومن أهم تصانيفه:

١ - مجلة المرشد التي كانت تصدر في بغداد أثناء إقامته فيها باللغة العربية لمدة أربع سنوات متواليات.

٢ - كتاب السيد جمال الدين الاسد أبادي الشهير بالافغاني بالعربية مخطوط وقد نشرت مجلة العرفان الصيداوية فصولاً منه قبل أكثر من ٣٠ سنة.

كما أوردت فصولاً منه موسوعة (أعيان الشيعة).

٣ - رسالة (دليل العتبات المقدسة في العراق) باللغة الفارسية طبع في طهران عام ١٩٥٠ وقد ألفها وطبعها أثناء اشتغاله في السفارة العراقية بطهران ليستعين بها زوار العتبات المقدسة من الإيرانيين وغيرهم في تجوالهم وأثناء تنقلاتهم في العراق.

٤ - تاريخ الأسرة الشهرستانية منذ أقدم العصور حتى الآن. في ثلاثة مجلدات كبيرة وباللغتين العربية والفارسية « مخطوط ».

٥ - مجموعة الشهرستاني - مذكرات باللغتين ايضاً.

٦ - (من عاصرتهم) بالعربية. « مخطوط » يتضمن تراجم من عاصرهم واتصل بهم من الشخصيات والرجال، وله ايضاً (شخصيات أدركتها).

٧ - (كلمات فارسية الأصل قد استعربت) باللغتين العربية والفارسية. وقد نشرت كل من مجلة « ماه نو » التي كانت تصدر في طهران وجريدة (ناصر) التي تصدر في مدينة يزد اسبوعياً فصولا من هذا الكتاب بقسمه الفارسي.

٨ - تراجم كثيرة لشخصيات علمية ودينية وأدبية نشرت في المجلدات

الأخيرة من موسوعة (أعيان الشيعة) بعضها بتوقيعها الصريح وبعضها بدون توقيع مع تعليقات على بعض التراجم في تلك الموسوعة.

٩ - رسالة بالعربية فيها تحقيق عن شخصية أحد أولاد الأئمة الأطهار عليهم السلام المعروف بإمام زاده يحيى والمدفون في أحد أحياء طهران القديمة ويزار ويتبرك به. « مخطوط ».

١٠ - رسالة كبيرة بالعربية في تاريخ حياة العلامة الإمام البروجردي الطباطبائي. حوت معلومات قيمة لم يسبق أن نشرت فيما كتب حتى الآن عن العلامة المذكور لأنها من مشاهدات الكاتب بنفسه في اجتماعاته المتكررة مع العلامة المذكور. « مخطوط ».

١١ - مجموعة أدبية تضم بين دفتيها ألوفاً من القصائد القصيرة والرباعيات والأبيات الشعرية والأمثال والحكم باللغتين العربية والفارسية. وهي تتفق في المعنى والمفهوم وتختلف في اللغة والتنظيم.

١٢ - مجموعة تحتوي على منخبات من الشعر والأمثال والحكم باللغتين العربية والفارسية نظماً ونثراً اقتطفها من مختلف الأسفار والكتب قديمة وحديثة ووقعت من لدنه موقع الاستحسان. هذا ورغم إشتغال الاستاذ الشهرستاني بالأعمال الإدارية الكثيرة التي تستنفذ الكثير من وقته، كان لا يترك فرصة فراغ تمر عليه دون أن يستغلها بترويض ذهنه وذاكرته بالتأليف والتحقيق والبحث والكتابة باللغتين العربية والفارسية.

وكان الأستاذ الشهرستاني بالإضافة إلى كل ذلك له إلمام واف باللغة الانجليزية التي يستعين بها أحياناً في تتباعاته. كما أنه كان يملك بداره في شمران مكتبة عامرة بالكتب العربية والفارسية وفيها بعض الكتب الخطية النادرة وكتب الأنساب المعتبرة، وبعض المؤلفات الانجليزية.

هذا وقد نشرت مجلة « المكتبة » البغدادية في عددها ٣٩ السنة الرابعة لشهر

آذار ١٩٦٤ م نبذة عن الأستاذ الشهرستاني بقلم الأستاذ السيد سلمان هادي الطعمة بعنوان « أديب عراقي في طهران » قال فيها:

من الأدباء العراقيين الذين لهم منزلتهم الإجتماعية والأدبية في طهران: السيد صالح الشهرستاني فهو دبلوماسي وأديب موهوب ذو نفس وثابة للخير والفضيلة ..

وقد سبق أن أصدر مجلة « المرشد » في بغداد عام ١٩٢٦ ونشر فيها الكثير من المقالات. كما وأنه ساهم في مجالات أخرى كانت تصدر في لبنان: والعراق ..

وسرعان ما انتقل إلى طهران وحط رحاله فيها وانخرط في سلك السفارة العراقية من أجل خدمة أبناء جلدته ومن ثم انتقل إلى السفارة الأردنية داره مهوى أفئدة الأدباء العراقيين والشخصيات المعروفة. ومكتبته حاوية للتراث العراقي الغزير من كتب ومجلات ..

وفي أثناء إقامتي في العاصمة الإيرانية قمت بزيارة إلى داره العامرة ودار الحديث حول الأدب العراقي والمجلات الأدبية التي تصدر هناك. فأول ما بادر الى ذهني مجلة (المكتبة) التي تصدرها مكتبة المثنى ببغداد. فسره أن تكون في متناول الأيدي. لأنها المجلة الأدبية - الوحيدة التي تصدر ببغداد ووعدته بارسالها لكي يكون على معرفة بالكتاب العراقي والأدب العراقي:

وقد نشرت ترجمة حياته موجزاً كثير من المجلات وكتب الإعلام - ومما جاء في مقال منشور في مجلة الاخاء التي تصدر باللغة العربية في طهران بعددها (٣٩) المؤرخ في ١ / ٥ / ١٩٦٣ قول الكاتب (تحت عنوان ادباء كربلائيون عرفتهم) ما نصه:

السيد صالح الشهرستاني: - وهو أحد افراد اسرة علمية في كربلاء تنحدر من سلالة العلامة السيد مهدي الموسوي الشهرستاني. تولى رئاسة تحرير مجلة المرشد التي كان يصدرها في بغداد عام ١٩٢٦ وفيها مقالات تطفح بالتوجيه. وقد

ساهم في مجلته كبار كتاب العراق. ومنهم سماحة العلامة السيد هبة الدين الحسيني الشهير بالشهرستاني. وللاستاذ صالح الشهرستاني مقالات مختلفة وتراجم وبحوث في كثير من المجلات العربية وعلى رأسها مجلة (العرفان) اللبنانية - إلى أن قال الكاتب - والسيد صالح اليوم يحتل مكانة مرموقة في السفارة الأردنية بطهران. انتهى.

هذا ويرتقى نسب السيد صالح الشهرستاني إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام فيعتبر بذلك من السادة الموسويين. وقد عثرنا على نسبه الطاهر الذي ندرجه فيما يلي:

السيد صالح بن المرحوم السيد إبراهيم الشهرستاني المتوفى في ٢٥ شعبان ١٣٧٦ بن السيد ميرزا صالح الشهرستاني الزعيم المعروف في كربلاء. والمتوفى في ١٣٠٩ بن السيد ميرزا محمد حسين الموسوي الشهرستاني المعروف بـ (آقا بزرك) المتوفى في سنة ١٢٤٧ بمرض الطاعون المعروف في كربلاء ابن السيد الميرزا محمد مهدي الموسوي الشهرستاني المتوفى في سنة ١٢١٦ في كربلاء (وهو العلامة الكبير الذي يعد أحد المهادي الأربعة تلامذة العلامة المجدد آقا باقر البهبهاني) ابن أبو القاسم بن ميرزا روح الله من علماء عهد السلطان الشاه حسين الصفوي بن جلال الدين الحسن بن ميرزا رفيع الدين محمد الصدر بن جلال الدين محمد بن أبو الفتوح (الأمير نظام الدين أبو الفتوح المشهور بأمير نظاماً أو أمير فتوحاً وهو الأخ الأصغر للميرزا فضل الله واقف الموقوفات الشهيرة سنة ٩٦٣ هـ) ابن صدر الدين إسماعيل المشهور بمير سيد شهرستاني واقف الموقوفات المعروفة الكثيرة في إيران سنة ٩٣١ هـ (وقد ذكره صاحب كتاب عالم آرا عباسى باسم - مير شريف شهرستاني - وكان على عهد الشاه اسماعيل الأول وقبله مستوفياً أي وزير المالية في أصفهان) ابن زين الدين أمير علي بن صدر الدين إسماعيل بن زين الدين على بن علاء الدين الحسين بن معين الدين عبد الله بن ركن الدين حسين بن أشرف بن ركن الدين الحسن بن أشرف ابن نور الدين محد بن أبي طاهر عبد الله بن

محمد أبو الحرث بن علي أبي الحسن ويعرف بابن الديلمية ابن أبي طاهر عبد الله بن محمد أبي الحسن المحدث بن طاهر أبي الطيب بن الحسين القطعي بن موسى أبي السبحة بن ابراهيم المرتضى بن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام .

هذا وكان الاستاذ السيد صالح الشهرستاني العضو الرئيسي والحساس في السفارة العراقية بطهران خلال مدة خمسة عشر عاماً أي من عام ١٩٤٤ إلى أواخر عام ١٩٥٨ حيث قام بدور هام خلال هذه المدة في تقريب وجهات النظر بين الحكومتين العراقية والإيرانية والتخفيف من حدة التوتر الذي كان يحصل بينهما بين آونة وأخرى. كما أنه كان نقطة الارتكاز في السفارة أثناء تلك المدة في خدمة الشعبين العربي والإيراني سيما زوار القطرين لبعضهما وقيامهم بأداء واجب الزيارة للعتبات المقدسة في العراق أو روضة الإمام الرضا عليه السلام في مشهد وسائر المراقد المقدسة في إيران. الأمر الذي جعله موضع تقدير وثناء رجال البلدين وسائر طبقات الشعبين.

وكان موقف لاستاذ الشهرستاني في يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ (يوم الانقلاب العراقي ضد العهد الملكي الهاشمي في العراق) موقفاً حياه به كل من سمع به. إذ أنه رغم جميع محاولات موظفي السفارة وعلى راسهم السفير السيد عبد الأمير الازري وقف لوحده يعارض ذلك الانقلاب الدموي وينديد به ويدافع عن العهد الملكي الهاشمي ويعدد الأخطار والمهالك والمتاعب والويلات التي كان يتوقع أن يلاقيه العراق وشعبه من جراء ذلك الانقلاب. وقد تحققت نبوءته في ذلك بعدئذ وغاب مدة قصيرة وحتى الآن وحتى أنه بلغ به التنديد بذلك الانقلاب درجة امتنع معه عن إنزال تصاوير الملك فيصل وسائر رجال الحكم المستشهدين في ذلك الانقلاب من على جدران غرفته متمسكاً بمبدأ الولاء لأولاد عمه الهاشميين العلويين الحسينين المستشهدين على يد عبد الكريم قاسم وشرذمته. الأمر الذي اغضب رجال الإنقلاب وأثار نقمتهم على الأستاذ الشهرستاني ففصلوه من

الخدمة بعد الانقلاب قبل ختام شهر تموز ١٩٥٨ بأيام. وأضاعوا عليه جميع مزايا خدمته الطويلة. أما هو فقد تقبل هذا الفصل عن طيب خاطر غير عابئ بما حصل إرضاء لضميره وأداء لواجب الوفاء واستجابة لداعية الشهامة والإخلاص.

غير أن السفارة الاردنية الهاشمية في طهران التي كان يديرها وقتئذ السيد وصفي التل بوصفه قائماً بالأعمال والذي أصبح رئيساً للوزارة الأردنية عدة مرات فيما بعد. اتصلت بالأستاذ الشهرستاني في أمسية اليوم الذي فصل به من السفارة العراقية وأوفدت إليه أحد كبار موظفيها عارضة عليه اقتراح قبوله الإنتماء إلى السفارة الأردنية وخدمة الحكومة الهاشمية الأردنية تقديراً لموقفه النبيل من الانقلاب الدموي ضد الأسرة الهاشمية في العراق. فقبل دعوتها شاكراً. ومنذ ذلك التاريخ وحتى آخر أيام حياته تولى منصباً مرموقاً في السفارة الأردنية الهاشمية بطهران وكان له فيها مركزاً ممتازاً. فضلاً عن أنه كان موضع تقدير وثقة رجال الحكم في المملكة الأردنية الهاشمية. وليس أدل على ذلك من منحه وسام الكوكب الذي أنعمه عليه جلالة الملك حسين ملك المملكة الأردنية الهاشمية بتاريخ ١٩ ربيع الأول ١٣٦٨ تقديراً للاوصاف الحميدة التي اتصف بها (كما جاء في عبارة البراءة الملكية في منح الوسام) وكتاب التقدير الذي وجهه إليه العلامة السيد أكرم زعيتر وزير الخارجية الأردنية المؤرخ في ٩ / ٥ / ١٩٦٦ وغيرها من رسائل التكريم والتقدير الكثيرة التي تضمها مكتبته العامرة في داره بمصيف شمران بإيران.

وقد نشرت مجلة الاخاء بعددها (٨٢) الصادر في أول ايلول ١٩٦٦ نبأ انعام جلالة الملك حسين على الاستاذ الشهرستاني بوسام الكوكب وهنأته عليه وقدرت ثقة الملك حسين فيه.

وفاته

هذا وقد توفي السيد صالح الشهرستاني يوم السبت ٢٢ شعبان ١٣٩٥ هـ الموافق ٣٠ أغسطس ١٩٧٥ في مستشفى « رضا بهلوي » بشميران ونقل جثمانه إلى مدينة كربلاء « العراق » بالطائرة حيث دفن في المقبرة الخاصة بالأسرة الشهرستانية والواقعة في باب السدرة للروضة الحسينية المقدسة قريباً من والده وزوجته العلوية « زهراء » وأخته والأفراد الآخرين من هذه العائلة الكريمة ﷺ جميعاً.

وقد استللت هذه الترجمة عن حياة المؤلف السيد صالح الشهرستاني « تغمده الله برحمته الواسعة » من كتابه « شخصيات أدركتها ».

المحقق

نبيل رضا علوان

قم المقدسة.

دار هجرة ٢٦ - صفر الحرام - ١٤١٦ هـ

مقدمة المؤلف

كان الصديق الجليل الاستاذ السيد حسن الامين في إحدى زياراته في صيف سنة ١٣٨٨ هـ (١٩٦٨ م) لطهران قد تكرم وعادني في داري بمصيف شمران. وفي أثناء مطالعاته في بعض مسودات إحدى مجموعاتي في مكتبتي المتواضعة عثر على قصاصات من وريقات دونت فيها نبذاً مما كنت قد نقلته من بطون مختلف الكتب والاسفار عن تاريخ العزاء الحسيني، والتطورات التي طرأت على النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في مختلف العصور والقرون. فسألني هذا الزائر الكريم عن الهدف من تدوين هذه النبذ واستنساخها من مصادرها العديدة، فأجبته أنها قد تكون نواة لرسالة يسعفني العمر بتدوينها وتبويبها وطبعها.

فوقعت هذه الفكرة من لدنه موقع الاستحسان والتشجيع، وأخذ يحثني في اجتماعاتنا المتتالية، وفي رسائله المتعاقبة لي من بيروت الى طهران على لزوم إتمام هذا المشروع وإخراجه الى حيز الطبع والنشر.

وهذه الالحاحات من السيد الأمين وحاجة المكتبات الاسلامية والعربية في مختلف أقطارها الى سفر يجمع بين دفتيه ما تناثر في بطون الكتب والمؤلفات عن تاريخ العزاء الحسيني والمناحات على الامام الشهيد عليه السلام، دعتني بل واوجبت علي أن أبذل أقصى الجهد والتتبع والتحقيق في هذا الموضوع التاريخي الهام خلال السنوات الخمس الماضية، وإتمامه وتدوينه في مجموعة مستقلة تسهل على القارئ

الكريم الرجوع اليه دون أن يضطر الى مراجعة العشرات والمئات من المؤلفات فيما لو أراد الاطلاع على بعض جوانب تاريخ العزاء الحسيني.

لقد كان التوفيق حليفي ولله الحمد في إنجاز ما اعتزمت على إتمامه وذلك في العشرة الأولى من شهر محرم الحرام سنة ١٣٩٣ هـ (شباط ١٩٧٣ م). وعساني أن أكون قد أديت بذلك بعض الواجبات والخدمة لجدي الأعلى إمام الشهداء وعظيم المضحين في سبيل الحق والحقة ورفع راية القرآن الكريم.

وقد قسمت المواضيع على فصول حسب تسلسل التاريخ من صدر الاسلام حتى عصرنا هذا .. كما سيلاحظ القارئ، ذلك. والله ولي القصد.

طهران - غرة ذي القعدة ١٣٩٣ هـ

٢٧ تشرين الثاني ١٩٧٣ م

السيد صالح الشهرستاني

* * *

الفصل الأول

النبي ﷺ وأصحابه أول من بكوا الحسين عليه السلام

لقد اتفقت كتب الحديث والرواية سواء كانت من مؤلفات الشيعة أو من مصنفات إخواننا السنة على أن جبرئيل قد أوحى [1] إلى النبي ﷺ بنبأ مقتل الامام الشهيد الحسين عليه السلام ومكان استشهاده. وفيما يلي بعض هذه الروايات في ذلك:

١ - قال العلامة السيد محسن الأمين العاملي في الصفحة « ٣٠ » من مصنفه: (إقناع اللائم على إقامة المآتم) ما نصه:

ذكر الشيخ أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الشافعي في كتابه (اعلام النبوة) صفحة ٨٣ طبع مصر فقال:

ومن إنذاره ﷺ ما رواه عروة عن عائشة قالت: « دخل الحسين بن علي عليه السلام على رسول الله ﷺ وهو يوحى اليه، فبرك عل ظهره وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبرئيل: يا محمد، إن أمتك ستفتن بعدك وتقتل ابنك هذا من بعدك، ومد يده فأتاه بتربة بيضاء وقال: في هذه الأرض يقتل ابنك - اسمها الطف -. فلما ذهب جبرئيل خرج رسول الله ﷺ الى أصحابه والتربة في يده، وفيهم أبو بكر وعمر وعلي وحذيفة وعمار وأبو ذر وهو يبكي، فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله ﷺ؟ فقال: أخبرني جبرئيل أن ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني

---

(١) اما ان نقول: « أن جبرئيل قد اخبر النبي » او نقول: « ان الله اوحى للنبي ».

بهذه التربة فأخبرني أن فيها مضجعه » [1] انتهى.

ثم يضيف السيد محسن العاملي على ذلك بقوله:

أقول: ولابد أن يكون الصحابة لما رأوا رسول الله ﷺ يبكي لقتل ولده وتربته بيده، وأخبرهم بما أخبره جبرئيل من قتله، وأراهم تربته التي جاء بها جبرئيل، أخذتهم الرقة الشديدة فبكوا لبكائه وواسوه في الحزن على ولده، فان ذلك مما يبعث على أشد الحزن والبكاء لو كانت هذه الواقعة مع غير النبي ﷺ والصحابة، فكيف بهم معه؟! فهذا أول مأتم أقيم على الحسين عليه السلام يشبه مآتمنا التي تقام عليه، وكان الذاكر فيه للمصيبة رسول الله ﷺ والمستمعون أصحابه.

٢ - جاء في الصفحة «٣١» من الكتاب نفسه:

وفي (منتخب كنز العمال صفحة ١١٢ الجزء الخامس) للشيخ علاء الدين علي بن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي من علماء أهل السنة. قال:

أخرج الطبراني في الكبير [2]: عن المطلب بن عبد الله بن حنطب، عن أم سلمة قالت: كان النبي ﷺ جالساً ذات يوم في بيتي فقال: « لا يدخلن علي أحد فانتظرت فدخل الحسين فسمعت نشيج النبي ﷺ يبكي، فاطلعت فاذا الحسين في حجره أو الى جنبه يمسح رأسه وهو يبكي. فقلت: والله ما علمت به حتى دخل. قال النبي ﷺ: إن جبرئيل كان معنا في البيت فقال: أتحبه؟ فقلت: أما من حب الدنيا نعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء. فتناول من ترابها فأراه النبي ﷺ، فلما أحيط بالحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا:

---

(١) وذكر الخبر ايضاً بالفاظ مختلفة وبطرق متعددة في المصار التالية: مستدرك الصحيحين ٣: ١٧٦، ٤: ٣٩٨، مسند أحمد بن حنبل ٣: ٢٤٢، ٢٦٥، والمحب الطبري في ذخائر العقبى ١٤٧، ١٤٨، والمتقي الهندي في كنز العمال ٦: ٢٢٢، ٢٢٣، ٧: ١٠٦، والصواعق المحرقة: ١١٥، والهيثمي في معجمه ٩: ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ٢٣: ٢٨٩ | ٦٣٧.

ارض كربلاء، قال: صدق رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أرض كرب وبلاء .. ».

أقول: وقد نقلت هذه الرواية كثير من كتب أهل السنة بنفس العبارة أو بتعديل فيها، كصاحب العقد الفريد [١] في الجزء الثاني، وأحمد بن حنبل [٢]، وأبي يعلى، وابن سعد، والطبراني، وأنس بن مالك، وابن عساكر، وغيرهم كثيرون [٣]. ورواها أيضاً من الشيعة كثيرون من علمائها، منهم الشيخ أبو جعفر محمد بن علي المعروف بابن بابويه القمي عن الامام الخامس محمد الباقر عليه السلام بهذه العبارة:

« كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة فقال لها: لا يدخل علي أحد، فجاء الحسين وهو طفل فما ملكت معه شيئاً حتى دخل على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدخلت أم سلمة على أثره، فاذا الحسين على صدره، وإذا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يبكي وإذا في يده شيء يقبله. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: يا أم سلمة، إن هذا جبرئيل يخبرني أن ابني هذا مقتول، وهذه التربة التي يقتل عليها، فضعيها عندك فاذا صارت دماً فقد قتل حبيبي ... » [٤]. انتهى قول العلامة العاملي.

٣ - ذكر الشيخ المفيد في إرشاده ما لفظه:

روى الاوزاعي عن عبد الله بن شداد عن أم الفضل بنت الحارث أنها دخلت على رسول الله **صلى الله عليه و آله و سلم** فقالت: يارسول الله، رأيت الليلة حلما منكراً. قال: وما هو؟ قالت: انه شديد. قال: ما هو؟ قلت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: خيراً رأيت تلد فاطمة غلاماً فيكون في حجرك، فولدت فاطمة الحسين عليه السلام ، قالت: وكان في حجري كما قال رسول

---

(١) عقد الفريد ٤: ٣٨٣ | ١٠.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٩٤.

(٣) كنز العمال ١٣: ٦٥٦ | ٣٧٦٦٦ عن ابن ماجه والطبراني وأبي نعيم.

(٤) امالي الصدوق: ١٣٠ | ٣.

الله ﷺ فدخلت به يوماً على النبي - وأنا أحمل الحسين - [1] فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فاذا عينا رسول الله تهرقان بالدموع، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما لك؟! قال: أتاني جبرئيل فأخبرني ان طائفة من أمتي ستقتل ابني هذا. وقلت: هذا؟ قال: نعم وأتاني بتربة من تربته حمراء » [2] الخ.

وروى سماك، عن ابن مخارق، عن ام سلمة رضي الله عنها قالت: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم جالس والحسين جالس في حجره إذ هملت عيناه بالدموع، فقلت له: يا رسول الله، مالي أراك تبكي، جعلت فداك؟! فقال: « جاءني جبرئيل فعزاني بابني الحسين وأخبرني أن طائفة من أمتي تقتله، لاأنالهم الله شفاعتي » [3].

وروى باسناد آخر عن أم سلمة أنها قالت: خرج رسول الله وهو اشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله، مالي أراك شعثاً مغبراً؟ فقال: أسري بي في هذا الوقت الى موضع من العراق يقال له: كربلاء، فأريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل ألقط دماءهم فها هي في يدي وبسطها الي فقال: خذيها واحتفظي بها، فاخذتها فاذا هي شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت بها، فلما خرج الحسين من مكة متوجهاً نحو العراق كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة فأشمها وأنظر اليها ثم أبكي لمصابه، فلما كان اليوم العاشر من محرم - وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين - أخرجتها في أول النهار وهي بحالها ثم عدت اليها آخر النهار، فاذا هي دم عبيط فضججت في بيتي وبكيت، وكظمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة، فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاء الناعي بنعيه

---

(١) ليس في المصدر.

(٢) ارشاد الشيخ المفيد ٢: ١٢٩، وينابيع المودة ٢: ٣١٨ عن البيهقي.

(٣) ارشاد المفيد ٢: ١٣٠.

فحقق ما رأيت [1].

٤ - جاء في « مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٥ »: « بسنده عن عبد الله بن نجى عن ابيه انه سار مع علي عليه السلام وكان صاحب مطهرته - أي الاناء الذي يتطهر به ويتوضأ منه - فلما حاذى نينوي، وهو منطلق الى صفين، فنادى علي عليه السلام: إصبر أبا عبد الله، إصبر أبا عبد الله بشط الفرات. قلت: وما ذاك؟ قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان، قلت ؛ يا نبي الله، أغضبك أحد، ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بل قام من عندي جبرئيل قبل أمد فحدثني أن الحسين يقتل بشط الفرات. قال: فقال: هل لك الى أن أشمك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها فلم أملك عيني أن فاضتا .. ».

ونقل هذا الحديث بنفس العبارة أو مع إضافة عليها كتاب « الصواعق المحرقة » [2] لابن حجر، وكتاب « منتخب كنز العمال » [3]، وسبط ابن الجوزي الحنفي في « تذكرة الخواص » [4]، والبغوي في معجمه، وغيرهم كثيرون من رواة السنة والشيعة.

٥ - وأخرج ابن سعد هذه الحكاية عن عائشة باضافة: « إن جبرئيل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله على من يسفك دمه. فيا عائشة والذي نفسي بيده إنه ليحزنني، فمن هذا من أمتي يقتل حسيناً بعدي؟ » [5].

٦ - أخرج أحمد بن حنبل فيما أخرجه من مسند ابن عباس، قال: « رأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيما ير النائم بنصف النهار، وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ١٣٠.

(٢) الصواعق المحرقة | ١١٥.

(٣) كنز العمال ٧: ١٠٥، وابن حجر في تهذيب التهذيب ٢: ٣٤٧.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٢٥.

(٥) الصواعق المحرقة لابن حجر ١١٥ قال أخرجه ابن سعد مع اختلاف في اللفظ.

دم. فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل ألتقطه منذ اليوم فاحصينا ذلك فوجدوه قتل في ذلك اليوم [١].

٧ - جاء في الصفحة «٣٩» من كتاب « إقناع اللائم » المار ذكره ما نصه: « روى ابن شهر آشوب في المناقب [٢] عن جامع الترمذي وكتاب السدي وفضائل السمعاني، أن أم سلمة قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وعلى رأسه التراب. فقلت: مالك يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: شهدت قتل الحسين آنفاً .. ».

أقول: ومن روايات أصحابنا في ذلك ما رواه الصدوق في الأمالي [٣] بسنده عن سلمى [٤] قالت: « دخلت على أم سلمة وهي تبكي فقلت لها: ما يبكيك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وعلى رأسه ولحيته أثر التراب فقلت: مالك يا رسول الله مغبراً؟ قال: شهدت قتل الحسين آنفاً ».

وروى المفيد في المجالس والشيخ الطوسي في الأمالي بسندهما عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام قال: « أصبحت يوماً أم سلمة تبكي، فقيل لها: مم بكاؤك؟ فقالت: لقد قتل ابني الحسين الليلة، وذلك أنني ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ مضى إلا الليلة، فرأيته شاحباً كئيباً. فقلت: مالي أراك يا رسول الله شاحباً كئيباً؟ فقال: لم أزل منذ الليلة أحفر القبور للحسين وأصحابه » [٥].

هذا وقد رويت امثال هذه الأحاديث باسانيدها من مصادر شيعية وسنية موثوق بها بكثرة لا تحصى.

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٤٢، ورواه الخطيب البغدادي في تاريخه ١: ١٤٢، وابن الأثير في اسد الغابة ٢: ٢٢، وابن حجر في اصابته ٢: ١٧ مع اختلاف فيه ورواه غير هؤلاء ايضاً من ائمة الحديث.

(٢) مناقب آل ابي طالب ٤: ٥٥.

(٣) امالي الصدق ١١٩ | ١ مع اختلاف فيه.

(٤) سلمى: هي زوجة أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

(٥) أمالي المفيد ٣١٩ / ٦، أمالي الطوسي ٩٠ / ١٤٠ ..

٨ - وقد أشار ابن نباتة في كتاب خطبه المشهور الذي وضعه ليقرأ على منابر الاسلام في الجمعات، ولا يزال يقرأ على المنابر الى اليوم حيث قال في الخطبة الثانية للمحرم ضمن ما قال:

« وكان عليه الصلاة والسلام - يعني الرسول ﷺ - من حبه للحسين يقبل شفتيه، ويحمله كثيراً على كتفه فكيف لو رآه ملقى على جنبيه، شديد العطش والماء بين يديه، وأطفاله يضجون بالبكاء عليه؟ لصاح عليه الصلاة والسلام وخر مغشياً عليه. فتأسفوا رحمكم الله على هذا السبط السعيد الشهيد، وتسلوا بما أصابه لكم من موت الأحرار والعبيد واتقوا الله حق تقواه .. ».

٩ - أما أم سلمة فهي إحدى زوجات الرسول الأكرم ﷺ، وقد تقدم بها العمر الى أواخر سنة ٦١ للهجرة التي توفيت فيها. وتقول الدكتورة بنت الشاطئ في الصفحة «٣٢٠» من كتابها « موسوعة آل النبي » الذي تكرر طبعه عدة مرات في القاهرة وبيروت، عن هذه السيدة الجليلة ما نصه:

« وتقدم العمر بأم سلمة زوجة النبي حتى امتحنت كما امتحن الاسلام كله بمأساة كربلاء ومذبحة أهل بيت الرسول هناك. وتقول رواية: انها ماتت في آخر سنة ٦١ هجرية، بعد ما جاءها نعي الحسين بن علي عليه السلام - الى ان تقول بنت الشاطئ -: وأم سلمة آخر من مات من نساء النبي ﷺ وصلى عليها أبو هريرة الصحابي، ودفنت بالبقيع .. ».

١٠ - أقول: لقد وصل نبأ فاجعة كربلاء واستشهاد سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه في الطف في أواخر شهر محرم سنة ٦١ هـ الى المدينة المنورة، ثم كان ما كان من هياج أهل الحجاز وخاصة مكة المكرة والمدينة لهذا الحادث الجلل والمصاب العظيم، مما سيأتي تفصيله في الفصول التالية.

* * *

الفصل الثاني

بكاء علي وفاطمة على ابنهما عليهما السلام

وكان الامام أبو الشهداء، علي بن أبي طالب عليه السلام قد بكى ابنه سيد الشهداء الحسين عليه السلام أيضاً، والروايات في ذلك متضافرة، وأنقل هنا بعضها:

١ - جاء في الصفحة «٦٥» من كتاب « إقناع اللائم » للعلامة الأمين ما نصه:

روى الصدوق في الامالي بسنده عن ابن عباس قال: « كنت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام في خروجه الى صفين، فلما نزل نينوى، وهي بشط الفرات، قال بأعلى صوته: يا ابن عباس أتعرف هذا الموضع؟ قلت له: ما أعرفه يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: لو عرفته كمعرفتي لم تكن تجوزه حتى تبكي كبكائي، قال: فبكى كثيراً حتى اخضلت لحيته وسالت الدموع على صدره، وبكينا معه وهو يقول: آه آه، مالي ولآل أبي سفيان [١]، صبراً يا أبا عبد الله، فقد لقى أبوك مثل الذي تلقى منهم » [٢].

٢ - وروى ذلك غيره كسبط ابن الجوزي الحنفي في « تذكرة الخواص » حيث قال: روى الحسن بن كثير وعبد خير، قالا: لما وصل علي عليه السلام الى كربلاء وقف وبكى وقال: بأبي أغيلمة يقتلون ها هنا، هذا مناخ ركابهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجل، ثم ازداد بكاؤه [٣].

---

(١) في الاصل زيادة « مالي ولآل حرب، حزب الشيطان واولياء الكفر ».

(٢) امالي الصدوق: ٤٧٨ | ٥.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٢٥.

وروي هذا الحديث أيضاً في مسند ابن حنبل [١] وصواعق ابن حجر [٢]، وفي منتخب كنز العمال [٣] مع تفاوت في العبارة.

٣ - قال ابن حجر في صواعقه في الفصل الثالث من الباب «١١»: روى الملا: ان علياً مر بقبر الحسين فقال: « ها هنا مناخ ركابهم، وها هنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والارض .. » [٤].

٤ - روى ابن قولويه في الكامل بسنده عن الامام جعفر الصادق عليه السلام قال: « نظر علي الى الحسين فقال: يا عبرة كل مؤمن فقال: أنا يا أبتاه؟ فقال: نعم يا ابني .. » [٥].

٥ - جاء في الصفحة «١٢» من كتاب « مدينة الحسين » السلسلة الثانية، لمؤلفه السيد محمد حسن آل الكيلدار ما لفظه:

« ويروي المفيد في إرشاده عن عثمان بن قيس العامري، عن جابر بن الحر عن جويرية بن مسهر العبدي قال: كنت مع الامام علي عليه السلام عندما [٦] توجهنا الى صفين عام ٣٦ هـ فبلغنا طفوف كربلاء، فوقفت في ناحية من المعسكر، ثم رأيت الامام عليه عليه السلام ينظر يميناً وشمالاً واستعبر، ثم قال: « هذا والله مناخ ركابهم وموضع قتلهم فسئل ما هذا الموضع؟ فاجاب عليه السلام ؛ هذه كربلاء، يقتل فيها قوم يدخلون الجنة بغير حساب. ثم سار الامام دون أن يعرف الناس تأويل حديثه حتى كان

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٨٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١١٥.

(٣) منتخب كنز العمال ٥: ١١٢ في هامش مسند أحمد بن حنبل.

(٤) الصواعق المحرقة: ١١٥.

(٥) كامل الزيارات: ١٠٨.

(٦) ليس في المصدر « كنت مع الامام عليه عليه السلام عندما »، وانما بدلها (لما توجهنا مع أمير المؤمنين عليه بن أبي طالب عليه السلام الى صفين).

أمر الحسين عليه السلام ومقتله في كربلاء عام ٦١ هـ » [١].

اقول: وقد رأيت هذا الحديث في الصفحة «١٥٦» من كتاب « الارشاد » للشيخ المفيد قدس سره، المتوفى سنة ٤١٣ هـ

٦ - جاء في الصفحة «١٠٨» من كتاب « اقناع اللائم » ما نصه:

أورد ابن قولويه في الكامل بسنده عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام انه قال: « نظر أمير المؤمنين عليه السلام الى الحسين فقال: يا عبرة كل مؤمن. فقال: أنا يا أبتاه؟ فقال: نعم يا بني » [٢].

٧ - أما السيدة فاطمة الزهراء أم الامام الشهيد عليه السلام فقد تواترت الروايات أيضاً عن بكائها عليه في مواقف مختلفة، من ذلك ما جاء في الصفحة «٩٤» من أمالي الشيخ المفيد، نقلاً عن النيسابوري: « ن درة النائحة رأت فاطمة الزهراء عليها السلام فيما يرى النائم انها وقفت على قبر الحسين تبكي وأمرتها أن تنشد:

أيهـــــا العينـــــان فيضـــــا ... واســـــتهلا لا تغيضـــــا

وابكيـــــا بـــــالطف ميتـــــا ... تـــــرك الصـــــدر رضيضـــــا

لم أمرضـــــه قتـــــيلا ... لا ولا كـــــان مريضـــــا

٨ - نقل كتاب « بغية النبلاء » لمؤلفه السيد عبد الحسين سادن الروضة الحسينية بكربلا في صفحة «١٥٤» عن كتاب « نشوار المحاضرة » لمؤلفه أبي علي القاضي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ما عبارته:

« حدثني أبي قال: خرج الينا يوماً أبو الحسن الكاتب فقال: أتعرفون ببغداد رجلاً يقال له ابن أصدق؟ قال: فلم يعرفه من أهل المجلس غيري، فقلت: نعم، فلماذا سألت عنه؟ فقال: أي شيء يفعل؟ قلت: ينوح على الحسين عليه السلام. قال:

---

(١) ارشاد المفيد ١: ٣٣٢، وقعه صفين لابن مزاحم ١٤٠ - ١٤١، والصدوق في اماليه ١١٧ | ٦، ونقله العلامة المجلسي في البحار ٤١: ٢٨٦ | ٦.

(٢) كامل الزيارات: ١٠٨.

فبكى أبو الحسن وقال: إن عندي عجوزاً ربتني من أهل كرخ جدان عفيطة اللسان [1] الأغلب على لسانها النبطية لا يمكنها أن تقيم كلمة عربية صحيحة فضلاً عن أن تروي شعراً، وهي من صالحات نساء المسلمين، كثيرة الصيام والتهجد وانها انتبهت البارحة في جوف الليل ومرقدها قريب من موضعي، فصاحت بي: يا أبا الحسن، فقلت:مالك؟ فقالت: الحقني، فجئتها فوجدتها ترتعد. فقلت: ما اصابك؟ فقالت: إني كنت قد صليت وردي فنمت، فرأيت الساعة في منامي كأني في درب من دروب الكرخ، وإذا بحجرة نظيفة، مليحة الساحة، مفتوحة الباب، ونساء وقوف، فقلت لهن: من مات أو ما الخبر؟ فأومأن الى داخل الدار فدخلت، فاذا بحجرة نظيفة في نهاية الحسن، وفي صحنها امرأة شابة لم أر قط أحسن منها ولا أبهى ولا أجمل، وعليها ثياب حسنة بيضاء مروي لينة وهي ملتحفة فوقها بأزار أبيض جداً وفي حجرها رأس رجل يشخب دماً. فقلت: من أنت، فقالت: لاعليك، أنا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا رأس ابني الحسين عليه السلام. قولي لابن اصدق ينوح:

لم أمرضـــــــــــه فأســـــــــــلوا لا ولا كـــــــــــان مريضـــــــــــا

فانتبهت فزعة. قال: وقالت العجوز: « لم امرطه » بالطاء لانها لا تتمكن من إقامة الضاد، فسكنت روعها الى ان نامت.

ثم قال لي: يا أبا القاسم مع معرفتك الرجل قد حملتك الامانة ولزمتك أن تبلغها له. فقلت: سمعاً وطاعة لأمرسيدة نساء العالمين.

قال: وكان هذا في شعبان والناس اذ ذاك يلقون جهداً جهيداً من الحنابلة اذا أرادوا الخروج الى الحاير. فلم أزل أتلطف حتى خرجت فكنت في الحاير ليلة النصف من شعبان فسألت عن ابن أصدق حتى رأيته، فقلت له: إن فاطمة عليها السلام

---

(١) عفيطة اللسان: اي لكناء يصعب عليها الكلام.

تأمرك بان تنوح بالقصدية.

لم أمرضـــــــــــــه فأســـــــــــــلوا لا ولا كـــــــــــــان مريضـــــــــــــا

وما كنت أعرف القصيدة قبل ذلك. قال: فانزعج من ذلك، فقصصت عليه وعلى من حضر الحديث، فاجتمعوا بالبكاء ومناح تلك الليلة إلا بهذه القصيدة، وأولها:

أيهـــــــا العينـــــــان فيضـــــــا واســـــــتهلا لا تغيضـــــــا

وهي لبعض الشعراء الكوفيين. وعدت الى أبي الحسن فاخبرته بما جرى.

٩ - جاء في الصفحة «٣٩» من المجلد «١٣» من موسوعة « أعيان الشيعة » لمؤلفه العلامة السيد الأمين العاملي، نقلاً عن كتاب « اللهوف » للسيد ابن طاووس ما نصه:

« إن إحدى السبايا [كانت] سكينة بنت الحسين قالت: لما كان اليوم الرابع من مقامنا بدمشق رأيت في المنام امرأة راكبة في هودج ويدها موضوعة على رأسها، فسألت عنها فقيل لي: هذه فاطمة بنت محمد صلوات الله عليها أم أبيك، فقلت: والله لا نطلقن اليها ولا خبرنها ما صنع بنا، فسعيت مبادرة نحوها حتى لحقت بها، فوقفت بين يديها ابكي وأقول: يا أماه جحدوا والله حقنا. يا أماه بددوا والله شملنا، يا أماه استباحوا والله حريمنا، يا أماه قتلوا والله الحسين أبانا. فقالت لي: كفي صوتك يا سكينة فقد قطعت نياط قلبي، هذا قميص أبيك الحسين لا يفارقني حتى ألقى الله به .. » [1].

---

(١) اللهوف لابن طاووس: ٨٢.

الفصل الثالث

أهل الحجاز يبكون الحسين عليه السلام عند مفارقته لهم

ولما عزم الامام الحسين عليه السلام على مغادرة مدينة جده المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم والتوجه الى العراق تلبية لنداءات ورسائل ورسل أهل الكوفة عز على أهل المدينة أن يفارقهم سبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهم في أمس الحاجة الى زعامته وإمامته وإرشاداته فتوسلوا اليه أن يعدل عن هذه الرحلة ذات المصير المجهول، والاعداء - وخاصة الامويون منهم - مترصدون له وعازمون على قتله والفتك به وبأصحابه، والقضاء على نهضته الاصلاحية التي بها احياء لدين جده محمد صلى الله عليه وآله وسلم مهما كلفهم الأمر. ولكن الامام الحسين عليه السلام كان قد قر قراره على الرحيل لأمور كان هو أعلم بها. وفيما يلي بعض المرويات عن بدء الامام بهذه الرحلة المشؤومة:

١ - جاء في الصفحة «٧٥» من المجلد الرابع من موسوعة « أعيان الشيعة » القسم الاول منها عند بيان تفاصيل كيفية خروج الحسين عليه السلام من المدينة يصحبه اخوته وأهله وشيعته يريد مكة ثم الكوفة قوله:

« وأقبلت نساء عبد المطلب فاجتمعن للنياحة لما بلغهن أن الحسين عليه السلام يريد الشخوص من المدينة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله، فقالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء؟ فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعلي، وفاطمة، والحسن، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، جعلنا الله فداك من الموت يا حبيب الأبرار

من أهل القبور .. ».

وكأن القدر كان أوحى لهؤلاء النسوة بأن الامام وأهل بيته ومن يرافقه في هذه الرحلة مستشهدون لا محالة.

٢ - وفي الصفحة «٤٢» من كتاب « المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية » لمؤلفه العلامة الامين العاملي عند ذكر اجتماع محمد ابن الحنفية - أخي الامام الحسين عليه السلام - في المدينة به قبيل مغادرة الامام لها، ونصيحة محمد للحسين بأن يخرج الى مكة فان اطمأن الى أهلها وإلا فإلى اليمن، وإلا اللحاق بالرمال وشعوب الجبال، هرباً من تعقيب يزيد وزمرته الامويين له، قال له الحسين: يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية، فقطع محمد بن الحنفية عليه الكلام وبكى فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة ثم قال: يا أخي، جزاك الله خيراً، فقد نصحت وأشرت بالصواب، وأنا عازم على الخروج الى مكة.

٣ - وفي الصفحة «٤٥» من الكتاب نفسه، ينقل المؤلف الجليل كيفية خروج الحسين عليه السلام من مكة وشخوصه مع أهله وأصحابه الى العراق في ٨ ذي الحجة سنة ٦٠ هـ، واجتماع أخيه محمد ابن الحنفية به مرة أخرى ومنعه من السفر الى العراق والرحيل الى اليمن، وامتناع الامام عليه السلام عن ذلك، ثم يقول:

« وسمع عبد الله بن عمر بخروج الامام من مكة فقدم راحلته وخرج خلفه مسرعاً فأدركه في بعض المنازل، فقال له: أين تريد يا بن رسول الله؟ قال: العراق. قال: مهلاً ارجع الى حرم جدك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأبى الحسين عليه السلام فلما رأى ابن عمر إباءه فقال: يا أبا عبد الله اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله يقبله منك، فكشف الحسين عليه السلام عن سرته، فقبلها ابن عمر ثلاثاً وبكى، وقال: استودعك الله يا أبا عبد الله فانك مقتول في وجهتك هذه ... ».

* * *

الفصل الرابع

الحسين عليه السلام يتنبأ الكارثة

لم يكد الامام الشهيد يغادر مكة يوم ٨ ذي الحجة سنة ٦٠ هـ قاصداً العراق إلا وأخذت الأنباء المحزنة تتوارد عليه فيما يلاقيه رسله وموفدوه من نشوز وظلم وبغي وخيانة من أهل الكوفة بعد وصول الوالي الجديد اليها عبيد الله ابن زياد. وقد أصبح الامام متأكداً من أنه وآله وأصحابه ملاقون أسوأ المصير فيما هم عازمون عليه. ولكن لاراد لإرادة الله. وفيما يلي بعض ما يؤيد ذلك:

١ - جاء في كتاب « المجالس السنية » صفحة «٥٣» عند ذكر حادث مسلم ابن عقيل في الكوفة، ومحاربته جلاوزة الوالي الغشوم عبيد الله بن زياد، ثم مقتل مسلم، ما عبارته:

« وفي رواية المفيد: أن مسلم أخذ بالأمان بعد أن عجز عن القتال، فأتي ببغلة فحمل عليها، واجتمعوا حوله وانتزعوا منه سيفه، فكأنه عند ذلك يئس من نفسه، فدمعت عيناه ثم قال: هذا أول الغدر. قال له محمد بن الاشعث ارجو أن لا يكون عليك بأس فقال: وما هو إلا الرجاء، أين أمانكم؟ إنا لله وإنا إليه راجعون، وبكى، فقال له عبيد الله بن العباس السلمي: إن من يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثل الذي نزل بك لم يبك. فقال: إني والله ما لنفسي بكيت ولا لها من القتل أرثي وإن كنت لم أحب لها طرفة عين تلفا، ولكني أبكي لأهلي المقبلين، أبكي

للحسين وآل الحسين .. » [1].

٢ - وجاء في الصفحة «٥٨» من نفس الكتاب بعد ذكر مجزرة مقتل مسلم ابن عقيل في الكوفة ما نصه:

« وفي أثناء لطريق منمكة الى العراق لقي الفرزدق الشاعر الامام الحسين عليه السلام فسلم عليه وقال له: يا ابن رسول الله، كيف تركن الى أهل الكوفة، وهم الذين قتلوا ابن عمك مسلم بن عقيل وشيعته؟ فاستعبر الحسين عليه السلام ثم قال: رحم الله مسلماً .. ».

٣ - وفي الصفحة «٦٤» من ذاك الكتاب ورد ذكر قصة نزول الحسين عليه السلام في الثعلبية بطريقه من الحجاز الى العراق، ووصول أحد الأسديين من الكوفة ورؤيته مقتل مسلم بن عقيل وهاني بن عروة في الكوفة، وإخبار رجلين من الرحل الحسيني بهذا النباء المفجع، ثم يستطرد الكتاب بعد ذلك ويقول: « فسكت الامام، وارتج الموضع بالبكاء لقتل مسلم بن عقيل، وسالت الدموع عليه كل مسيل .. ».

٤ - وجاء في الصفحة «٧٣» من الكاتب المذكور بعد ذكر وصول ركب الامام الشهيد الى القرب من كربلاء يوم أول محرم سنة ٦١ هـ قوله: « فقال الحسين جواباً لمن اقترح عليه أن يبدأ بقتال الحر وجيشه: ما كنت لأبدأهم بالقتال. فقال له زهير: فسر بنا يا ابن رسول الله حتى ننزل كربلاء فانها على شاطئ الفرات فنكون هناك، فان قاتلونا قاتلناهم واستعنا الله عليهم. قال: فدمعت عينا الحسين عليه السلام ثم قال: اللهم أعوذ بك من الكرب والبلاء .. ».

هذا ويستدل من الروايات المتواترة والأحاديث المتوفرة: ان الامام الحسين عليه السلام كان متأكداً من أنه قتيل آل أمية مهما حاول التملص من ذلك. وإن

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ٥٩.

تنبؤاته بهذا المصيرالمحزن كثيرة، استناداً الى ما كان قد سمعه من جده المصطفى ﷺ ومن أبيه الكرار عليه السلام ، وتطبيقاً منه لمجريات الحوادث التي كانت تمر عليه في كل يوم وليلة منذ أواخر عهد معاوية بن أبي سفيان وبعد استيلاء يزيد على الحكم. وفيما يلي بعض ماعثرت عليه في بطون الكتب في هذا الأمر:

٥ - نقل كتاب « إقناع اللائم » في صفحته «١٨٩» عن مقال للمستشرق الالماني الشهير (ماربين) حول فاجعة كربلاء، ما ترجمته تالياً.

« وأكبر دليل على أن الحسين عليه السلام كان ذاهباً لمصرعه ولم يقصد السلطنة والرئاسة أبداً، هو أنه مع ذلك العلم، وتلك السياسة والتجربة التي اكتسبها في عهد ابيه وأخيه في قتالهم مع بني أمية ؛ كان يعلم أنه لا يملك الاستعدادات اللازمة مع تلك القوة التي كانت ليزيد لتمكنه من المقاومة. وأيضاً فان الحسين بعد قتل أبيه كان يخبرعن نفسه أنه مقتول لا محالة، ومن الساعة التي خرج فيها من المدينة كان يقول بصوت عال وبلا تستر: إنني ذاهب للقتل. وكان يصرح بذلك لاصحابه إتماماً للحجة، وليبرئ نفسه من أنه يجاهد طمعاً في الجاه، وكانت لهجته على الدوام: إن أمامي طريق المصرع. ولو لم يكن الحسين بهذه الافكار لم يكن ليستسلم للموت، بل كان يسعى لاعداد جيش، لا أن يفرق الجماعة الذين معه، ولما لم يكن له قصد سوى القتل الذي هو مقدمة لتلك الأفكارالسامية، وتلك الثورة المقدسة، التي كانت في نظره أنها أكبر وسيلة لتلك الثورة التي سيفقد فيها الأنصار ويصاب بها بالقتل مظلوماً شهيداً، لذلك اختارها لتكون مصائبه أشد تأثيراً في القلوب .. ».

ثم يستطرد الكاتب الالماني فيقول:

« إنه - أي الحسين - لم يتحمل هذه المصائب للحصول على السلطنة، ولم يرد هذه المهلكة العظمى على غير علم، كما تصور ذلك بعض مؤرخينا، بدليل: أنه كان قبل هذه الواقعة بسنين متطاولة يترنم بذكر مصائبه التي ستقع على سبيل التسلية

لخواص أصحابه من ذوي الافكارالعالية والأدمغة الواسعة قائلاً: سيظهر الله بعد قتلي وظهور تلك المصائب المفجعة اقواماً يميزون الحق من الباطل، ويزورون قبورنا، ويبكون على مصائبنا، ويأخذون الثار من أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم. هؤلاء الجماعة يروجون دين الله وشريعة جدي، ونجبهم أنا وجدي، وسيحشرون معنا يوم القيامة .. ».

٦ - جاء في الصفحة «٢٩» من كتاب « لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام » لمؤلفه السيد مصطفى محسن الاعتماد الموسوي الحائري من خطبة للحسين عليه السلام عند عزمه على المسير من الحجاز الى العراق قوله: « وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن مني أكراشاً جوفاً وأجربة سغباً. لا محيص عن يوم خط بالقلم، رضا الله رضانا اهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفينا أجور الصابرين ... ».

٧ - وجاء في الصفحة «٣٢» من الكتاب نفسه في جواب الامام علي عليه السلام لأبي هرم - لما قال له: يا ابن رسول الله، ماالذي أخرجك عن حرم جدك - قوله: « يا أبا هرم، إن بني أمية شتموا عرضي فصبرت، وأخذوا مالي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت: وأيم الله ليقتلونني فيلبسهم الله ذلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً ... ».

٨ - جاء في الصفحة «٣٥» من هذا الكتاب ايضاً - مانصه - عند مخاطبة الامام أصحابه قوله: « قال الحسين عليه السلام : إن رسول الله قال لي: يا بني إنك ستساق الى العراق، وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى عجوزاً وإنك تستشهد بها، ويستشهد معك جماعة من أصحابك تكون الحرب عليك وعليهم سلماً ... ».

٩ - وفي الصفحة «٣٧» منه جاء ضمن خطبة للامام عليه السلام يخاطب بها أصحابه ما لفظه: « وقد قال جدي رسول الله: ولدي حسين يقتل بطف كربلاء غريباً وحيداً عطشاناً ... ».

١٠ - وورد في الصفحة «٦٧» منه في جواب للامام الشهيد عليه السلام على كتاب عبد الله بن جعفر الطيار الذي يرجو فيه من الامام عدم مغادرة مكة الى الكوفة لأن فيها هلاك الامام وصحبه ما نصه: « إعلم أني قد رأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في منامي فأخبرني بأمر أنا ماض له. فو الله يا ابن العم لو كنت في جحر هامة من هوام الأرض لاستخرجوني حتى يقتلوني ... ».

١١ - جاء في الصفحة «٦٣٧» من كتاب« موسوعة آل النبي » للدكتورة بنت الشاطئ مانصه: « وكان الحسين - فيما يروي عدد من المؤرخين الاخباريين - يعلم منذ طفولته بما قدر له. كما كان دور أخته زينب حديث القوم منذ ولدت، فهم يذكرون: أن سلمان الفارسي أقبل على علي عليه السلام يهنئه بوليدته، فألفاه واجماً حزيناً يتحدث عما سوف تلقى ابنته في كربلاء. وبكى علي الفارس الشجاع، ذو اللواء المنصور، والملقب بأسد الاسلام ».

١٢ - جاء في الصفحة «٦٨٥» من الموسوعة نفسها عند ذكرها إحضار والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان الحسين عليه السلام ليأخذ منه البيعة ليزيد، وامتناع الامام عن ذلك، وما حدث له في مجلس الوليد قولها: « خرج الحسين حتى أتى منزله وألقى الى أهله النبأ وأسر لهم بعزمه على الرحيل ».

ومر بمسجد المدينة. ويقال انه سمع اذ ذاك يتمثل بقول ابن مفرغ:

لا ذعرت والسوام في فلق الصبح مغيرا ولا دعيت يزيدا

يوم أعطى من المهانة حيناً والمنايا يرصدنني إذ أحيدا

١٣ - وفي الصفحة «٧٠٢» من نفس الموسوعة عند الحديث عن منع عبد الله ابن جعفر الحسين عليه السلام من الشخوص الى العراق وامتناع الامام عن ذلك وإصراره على الرحيل الى الكوفة قولها: « ثم مشى الحسين في طريقه لا يلوي على شيء فزار قبر جده مودعاً وهو يقول:

وقد غسلت يدي من الحياة، وعزمت على تنفيذ أمر الله ».

١٤ - وفي الصفحة «٧٠٦» من نفس الموسوعة ذكر عن مثول الاسديين الآتيين من الكوفة بين يدي الحسين عليه السلام في الطريق وإخباره بمقتل مسلم بن عقبيل، ثم تقول: « فساد القوم - أنصار الحسين ومرافقيه - وجوم حزين لم يطل. ثم أعولت النساء وضج الجميع بالبكاء، وكانت مناحة في العراء.

وحين خفت ضجة النياح أراد الحسين أن يرجع بآله، فوثب عند ذلك بنو عقيل وهم يصيحون:

لا نرجع والله أبداً حتى ندرك ثارنا أو نذرق ما ذاق أخونا ونقتل بأجمعنا.

فنظر الحسين الى الأعرابيين اللذين نصحاه بالرجوع وقال في جد وأسى: لا خير في العيش بعد هؤلاء، وأمن القدر على ما قاله بنو عقيل فلم يرجعوا بل قتلوا أجمعين ... ».

* * *

الفصل الخامس

الحسين عليه السلام ينعى نفسه ويبكي آله

تتابعت الروايات من المؤرخين وأرباب السير على أن الامام الشهيد عليه السلام قد أكد ما كان قد تنبأ به من قبل يوم التاسع من المحرم - أي قبل استشهاده بأربع وعشرين ساعة - بأنه مقتول لامحالة، وأن الاسلام والمسلمين سيفجعون بمصرعه قريباً،وأن خصومه وأعداءه مصممون على الفتك به وبأصحابه، مهما كلفهم الأمر، ومهما عملوا في سبيل ذلك من وزر، وقد رويت في هذا الصدد روايات كثيرة نأتي على بعضها تالياً ونترك المكرر منها:

١ - جاء في (إرشاد) الشيخ المفيد:

« إنه في يوم الخميس ٩ محرم سنة ٦١ هـ عصراً نادى عمر بن سعد: يا خيل الله اركبي وبالجنة ابشري، فركب الناس ثم زحف نحوهم بعد العصر، وحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتب بسيفه، إذ خفق برأسه على ركبتيه، وسمعت أخته زينب الضجة فدنت من أخيها فقالت: يا أخي، أماتسمع الأصوات قد اقتربت فرفع الحسين رأسه وقال، إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الساعة في المنام فقال لي: إنك تروح إلينا. فلطمت أخته وجهها ونادت بالويل. فقال لها: ليس لك الويل يا أخية، اسكتي رحمك الله .. » [١].

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ٨٩.

وقد قال بعض المؤرخين: إن هذا أول عويل في فاجعة الحسين عليه السلام.

٢ - نقل الشيخ المفيد في « إرشاده » أيضاً الرواية التالية: « قال علي بن الحسين عليهما السلام : إني لجالس في تلك العشية التي قتل ابي في صبيحتها وعندي عمتي زينب تمرضني، إذ اعتزل أبي في خباء وعنده جوين مولى أبي ذر الغفاري، وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يـــا دهـــر أف لـــك مـــن خليـــل كـــم لـــك بالاشـــراق والأصـــيل
مـــن صـــاحب أو طالـــب قتيـــل والـــدهر لا يقنـــع بالبـــديل
وإنمـــا الأمـــر الى الجليـــل وكـــل حـــي ســـالك ســـبيلي

فأعادها مرتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة فرددتها ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي فلما سمعت ما سمعت وهي امرأة، ومن شأن النساء الرقة والجزع، فلم تملك نفسها أن وثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة، حتى انتهت إليه فقالت: واثكلاه ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي. فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها: يا أخية لا يذهبن حلمك الشيطان، وترقرقت عيناها بالدموع وقال: لو ترك القطا لنام [1] ؛ فقالت: يا ويلتاه! افتغتصب نفسك اغتصاباً؟ فذاك اقرح لقلبي وأشد على نفسي. ثم لطمت وجهها وهوت الى جيبها فشقته وخرت مغشياً عليها.

فقام اليها الحسين فصب على وجهها الماء وقال لها: يا أختاه! اتقي الله وتعزي بعزاء الله، واعلمي أن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، وأن كل شيء هالك إلا وجهه .. » [2].

٣ - جاء في الصفحة «٩٥» من كتاب (نهضة الحسين) لمؤلفه العلامة السيد

---

(١) يضرب مثلاً للرجل يستثار فيظلم. انظر جمهره الامثال للعسكري ٢: ١٩٤.

(٢) ارشاد المفيد ٢: ٩٣، مقتل الحسين لابي مخنلف: ١١٠، تحقيق حسن الغفاري.

هبة الدين الحسيني الشهرستاني عند ذكرنعي الحسين نفسه قوله: إن زينبا باغتت أخاها الحسين عليه السلام في خبائه ليلة مقتله فوجدته يصقل سيفاً له ويقول: « يا دهر أف لك من خيل » الى آخر الابيات المار ذكرها.

ذعرت زينب عند تمثل أخيها بهذه الأبيات، وعرفت أن أخاها قد يئس من الحياة ومن الصلح مع الاعداء، وانه قتيل لا محالة - الى أن يقول المؤلف الجليل -:

« فصرخت أخت الحسين نادبة أخاها وقالت: اليوم مات جدي، وأبي، وأمي، وأخي. ثم خرجت مغشية عليها، إذ غابت عن نفسها ولم تعد تملك اختيارها، فاخذ اخوها الحسين عليه السلام برأسها في حجره يرش على وجهها من مدامعه حتى أفاقت وسعد بصرها بنظرة من شقيقها وأخذ يسليها فقال: يا أختاه، إن أهل الأرض يموتون، وأهل السماء لا يبقون، فلا يبقى إلا وجهه. وقدمات جدي وأبي وأمي وأخي وهم خير مني، فلا يذهبن بحلمك الشيطان. ولم يزل بها حتى اسكن بروحه روعها، ونشف بطيب حديثه دمعها .. ».

٤ - روى ابن قولويه في الكامل بسنده عنابن خارجة، قال: « كنا عند أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام فذكرنا الحسين بن علي عليه السلام ، فبكى أبو عبد الله وبكينا، ثم رفع رأسه فقال: قال الحسين بن علي: أنا قتيل العبرة، لا يذكرني مؤمن إلا بكى .. » [1].

٥ - جاء في الصفحة «٩٨» من كتاب « مقتل سيد الاوصياء ونجله سيد الشهداء » لمؤلفه الشيخ عبد المنعم الكاظمي قوله: « إنه في ليلة العاشوراء - أي مساء الخميس - عندما كان الامام الحسين يصقل سيفه ويردد شعر « يا دهر أف لك من خليل » ... سمعته زينب ووثبت تجر ثوبها وإنها لحاسرة حتى انتهت اليه

---

(١) كامل الزيارات لابن قولويه ١٠٨ | ٦.

فقالت: واثكلاه، ليت الموت أعدمني الحياة. اليوم ماتت أمي فاطمة، وأبي علي، وأخي الحسن، يا خليفة المسلمين، وثمال الباقين - الى أن قالت: يا ويلتاه، أفتغتصب نفسك اغتصاباً فذلك اقرح لقلبي، وأشد على نفسي. ثم لطمت وجهها، وأهوت الى جيبها فشقته ووقعت مغشية عليها. فقام اليها الحسين وصب على وجهها الماء حتى أفاقت، وذكرها المصيبة بموت ابيه وجده، وبكت النسوة، ولطمن الخدود، وشققن الجيوب، وجعلت أم كلثوم تنادي: وامحمداه، واعلياه، وأماه،واحسناه، واحسيناه، واضيعتاه بعدك يا ابا عبد الله .. »[1].

٦ - جاء في الصفحة «٧٨» من كتاب « المجالس السنية » المار ذكره بعد أن أشار الى قطع ماء الفرات عن الامام في اليوم السابع من محرم سنة ٦١ هـ وإرسال عمر بن سعد [٥٠٠] فارس لمنع أصحاب الحسين من الوصول الى الماء، وخطبة الحسين في تعريف نفسه الى جيش ابن سعد مخاطباً بها إياهم - يقول: « فلما خطب الحسين هذه الخطبة، وسمع بناته وأخته زينب كلامه بكين وارتفعت اصواتهن، فوجه اليهن أخاه العباس وعلياً ابنه، وقال لهما: سكتاهن فلعمري ليكثرن بكاؤهن .. ».

٧ - جاء في الصفحة «١٠٨» من كتاب « اقناع اللائم » المار الذكر ما لفظه:

« روى الكامل باسانيده الى جعفر الصادق عليه السلام انه قال: قال الحسين: أنا قتيل العبرة، قتلت مكروباً، وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب إلا رده الله وقلبه الى أهله مسروراً .. »[2].

٨ - ورد في الصفحة «٣٥» من كتاب « لمعة من بلاغة الحسين عليه السلام » المار ذكره ما لفظه:

« ومن دعائه عليه السلام لما وصل أرض كربلاء، انه جمع ولده وإخوته وأهل بيته

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ٩٣ مع اختلاف فيه.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه ١٠٩ | ٧.

ثم نظر اليهم وصلى ساعة، ثم قال: اللهم إنا عترة نبيك محمد، وقد أزعجنا وطردنا وأخرجنا عن حرم جدنا وتعدت بنو أمية عليا.اللهم فخذ بحقنا، وانصرنا على القوم الظالمين .. ».

٩ - وجاء في الصفحة «٧١٨» من « موسوعة آل النبي » ما نصه:

« وفي خبر: إن أبا عبد الله الحسين خرج في جوف الليل يتفقد عسكره فتبعه نافع بن هلال، فساله الحسين عما أخرجه، قال: يا ابن رسول الله، يعز علي خروجك الى جهة معسكر هذا الطاغية، فتلطف الامام وقال له:

ألا تسلك بين هذين الجبلين في جوف الليل وتنجو بنفسك؟

أجاب صارخاً:

ثكلتني أمي، إن سيفي بألف وفرسي مثله، فو الله الذي من بك علي لا أفارقك حتى يكلا عن فري وجري.

ثم دخل الحسين خيمة أخته زينب ووقف نافع بازاء الخيمة ينتظره، فسمع زينب تقول لأخيها:

هل استعلمت من أصحابك ثباتهم، فأني أخشى أن يسلموك عند الوثبة، قال لها:

والله لقد بلوتهم فما وجدت فيهم إلا من يستأنسون بالمنية دوني استئناس الطفل الى محالب أمه.

فلما سمع نافع كلمة الامام لم يملك وضعه وذهب الى حبيب بن مظاهر فحكى له ما سمع. ثم تستطرد الموسوعة فتقول:

ومضى حبيب باصحابه حتى شارف خيام النساء فصاح: يا معشر حرائر رسول الله، هذه صوارم فتيانكم آلوا أن لا يغمدوها إلى في رقاب من يريد السوء فيكم، وهذه أسنة غلمانكم أقسموا أن لا يركزوها إلا في صدور من يفرق ناديكم.

فخرجت النساء اليهم، فضج القوم بالبكاء حتى كأن الأرض تمور ... ».

الفصل السادس

النياحة على آل الحسين عليه السلام

أكدت الروايات الموثوقة على أن علي بن الحسين الأكبر كان أول قتيل استشهد يوم عاشوراء بين يدي والده، وكان أول من تصايحت نساء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم وضجت في الوح عليه. وهاك بعض الروايات في ذلك:

١ - جاء في كتاب « نهضة الحسين » المار ذكره عند وصفه قتال علي بن الحسين واستئذانه أبيه في ذلك، وأنه أول قتيل من آل الحسين عليه السلام في ذلك اليوم المشؤوم ما نصه:

« فأسرع علي نحو الأعداء وعين أبيه تشيعه وترسل دموعها الحارة مصحوبة بالزفرات، والنساء على أثره تولول، وتعول أمه بشجو، فاقدة الاصطبار، إذ فقدت مركز آمالها، والامام ينادي بأعلى صوته يا ابن سعد، قطع الله رحمك كما قطعت رحمي [1]، ولم تحفظ قرابتي من رسول الله ».

٢ - وجاء في « إرشاد » الشيخ المفيد عند ذكر مقتل علي بن الحسين عليه السلام ما عبارته:

« فصرع - اي علي بن الحسين - واحتواه القوم فقطعوه بأسيافهم، فجاء الحسين عليه السلام حتى وقف عليه، فقال: قتل الله قوماً قتلوك، يا بني، ما أجرأهم على الرحمن وعلى انتهاك حرمة الرسول! وانهملت عيناه بالدموع ثم قال: على الدنيا

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩.

بعدك العفا. وخرجت زينب أخت الحسين مسرعة تنادي: يا أخياه وابن أخياه، وجاءت حتى أكبت عليه، فأخذ الحسين برأسها فردها الى الفسطاط، وأمر فتيانه فقال: أحملوا أخاكم. فحملوه حتى وضعوه بين يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه » [1].

٣ - ورد في الصفحة «١٠٧» من كتاب « المجالس السنية » عند ذكر قتال علي ابن الحسين الأكبر ما عبارته:

« فاستأذن علي اباه في القتال فاذن له، ثم نظر اليه نظرة آيس منه وأرخى عينيه فبكى، ثم رفع سبابتيه نحو السماء وقال: اللهم كن أنت الشهيد عليهم - الى أن يقول الكاتب -: إن علياً قال أثناء القتال: يا أبت، العطش قتلني، وثقل الحديد أجهدني، فهل الى شربة من الماء سبيل؟ فبكى الحسين عليه السلام ... ».

وكان علي هذا أول قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب. كما أن عمره يوم قتله كان «١٩» سنة.

٤ - جاء في كتاب « مقاتل الطالبيين » لمؤلفه أبي الفرج الاصفهاني طبع مصر عند ذكر خروج علي بن الحسين الاكبر للقتال ما نصه:

« قال حميد: وكأني أنظر الى امرأة خرجت مسرعة كأنها الشمس الطالعة، تنادي: يا حبيباه، يا ابن اخاه. فسالت عنها فقالوا: هذه زينب بنت علي بن أبي طالب. ثم جاءت حتى أنكبت عليه، فجاءها الحسين فأخذ بيدها الى الفسطاط ... » [2].

٥ - ذكر مؤلف « أعيان الشيعة » في الصفحة «١٣٠» من المجلد الرابع القسم الأول منه عن مقتل العباس بن علي عليه السلام أخ الامام الحسين ما لفظه: « فلم يستطع العباس حراكاً بعد أن أثخن بالجراح، فبكى الحسين عليه السلام لقتله بكاء شديداً .. ».

---

(١) ارشاد المفيد ٢: ١٠٦.

(٢) مقاتل الطالبيين: ١١٥، مقتل الحسين: ٨٢، وابن الاثير ٤: ٣٣، والطبري ٦: ٢٥٦.

٦ - جاء في الصفحة «١٣١» من المجلد نفسه عن حادث قتل جميع أنصار الامام وبقائه وحده يقاتل ما عبارته: « هل من موحد يخاف الله فينا؟، هل من مغيث يرجوا الله في إغاثتنا؟ هل من معين يرجوا ما عند الله في إعانتنا؟ فارتفعت أصوات النساء بالعويل .. » [١].

٧ - ذكر كتاب « لمعة من بلاغة الحسين » ضمن الاشارة الكلامه عليه السلام لما نظر كثرة من قتل من أصحابه ما يلي:

« ثم صاح الامام عليه السلام: أما من مغيث يغيثنا؟ أو من ذاب يذب عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فبكت النسوة، وكثر صراخهن ... ».

٨ - جاء في الصفحة «٧٠٤» من كتاب « موسوعة آل النبي » عند وصف مقتل علي بن الحسين وقول الامام الشهيد: قتل الله قوماً قتلوك يا بني. « قالوا: ولم يكد يتم عبارته حتى اندفعت من خيام النساء امرأة كأنها الشمس طالعة تنادي في جزع: (يا حبيباه، يا ابن أخاه) [٢].

فسال عنها من لا يعرفها، فقيل: هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله.

اندفعت زينب حتى انكبت على الفتى الشهيد، فجاءها الحسين فأخذ بيدها فردها الى الفسطاط، ثم عاد الى ولده وقد اقبل فتيانه اليه، فقال مفجوعاً: احملوا اخاكم، فحملوه من مصرعه الى الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه ... » [٣].

* * *

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٠.

(٢) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩.

(٣) راجع هامش ٢ ص ٤٤.

الفصل السابع

أعداء الحسين عليه السلام يبكونه

كانت فاجعة الامام الحسين الشهيد عليه السلام أليمة ومفجعة ومشجية الى درجة بحيث أبكت عيون أعدائه الأشداء، وأقرحت قلوب مقاتليه الظلمة، فضلا عن مواليه والمناضلين عنه. وقد بحثت كتب التاريخ وأسفار الرواة هذا الامر، وأنقل منها هنا بعض ما توفر:

١- جاء في الصفحة « ١٠٨» من كتاب « نهضة الحسين » المار ذكره عند وصف شجاعة الحسين في قتاله يوم عاشورا حيث يقول: « وكلما تمايل الامام ليهوي الى الأرض توازن معه فرسه - وكانت من الجياد الأصيلة - حتى اذا ضعفت هي أيضا بما أصابها من الجروح، خر الامام من سرجه على وجهه، وأقبل فرسه نحو مخيمه يصهل ويحمحم، فخرجت زينب من فسطاطها واضعة عشرة أصابعها على رأسها قائلة:(ليت السماء أطبقت على الارض، وليت الجبال تدكدكت على السهل. ثم صاحت بابن سعد قائلة: ياعمر، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر اليه؟ فدمعت عينا عمر، وسالت دموعه على لحيته لكنه صرف بوجهه عنها) [1] .. ».

٢- جاء في كتاب « أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام » تأليف رضا

---

(١) مقتل الحسين لابي مخنف، تحقيق حسن غفاري: ١٩٥.

كحالة عند ترجمة حياة السيدة زينب أخت الامام الحسين عليه السلام ما نصه: « ثم مرت زينب عقب قتل أخيها الحسين فوجدته صريعاً، فقالت: يا محمداه، يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الاعظاء. يا محمداه وبناتك سبايا، وذريتك مقتلة [1]. فابكت بكلامها هذا كل عدو وصديق. ولما دنا عمر بن سعد من الحسين فقالت: يا عمر بن سعد، أيقتل أبو عبد الله وأنت تنظر اليه؟ فسالت دموع عمر على خديه ولحيته، وصرف بوجهه عنها .. ».

٣ - وروت بعض الروايات أن يزيد بن معاوية لما أخبر بقتل الحسين دمعت عيناه. إذ جاء في الصفحة «٧٤٠» من كتاب « موسوعة آل النبي » للدكتورة عائشة بنت الشاطئ: « إن زحر بن قيس لما حمل الى يزيد بن معاوية خبر قتل الحسين عليه السلام وقال: ابشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره .. الى آخر كلامه. تعلق المؤلفة الباحثة على ذلك بقولها: « فيقال: ان يزيد دمعت عيناه وقال: قد كنت أرضى من طاعتكم بما دون قتل الحسين، لعن الله ابن مرجانة » [2].

* * *

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٨.

(٢) مقتل الحسين: ١٩٥.

الفصل الثامن

نساء الحسين عليه السلام ينندبنه في ساحة المعركة

لم يكد ينتهي عمر بن سعد وزمرته الشريرة من قتل الامام الثالث الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام وآله وصحبه في ساحة كربلاء بعيد ظهيرة يوم الخميس العاشر من محرم الحرام سنة ٦١ هـ إلا وأمر ابن سعد في بقية ذلك اليوم وأمسيته وفي صبيحة اليوم التالي (١١ محرم ٦١ هـ) بدفن أجساد جنده بعد أن صلى عليها، تاركاً أشلاء الامام الحسين عليه السلام والذين استشهدوا معه في العراء، بين لهيب الشمس وحميم الارض الرمضاء، وعرضة للنسور والعقبان، دون غسل، أو صلاة، او دفن. وقبيل ظهيرة اليوم الحادي عشر من محرم - أي بعد مرور حوالي عشرين ساعة على مقتل الامام وصحبه - رحل ابن سعد وما تبقى من جيشه عن كربلاء، تاركاً ساحة المعركة، وعائداً الى الكوفة ليقدم تقريره عن نتائج فعلته الشنيعة الى رئيسه عبيد الله بن زياد، وآخذاً معه ما بقي من رحل الامام الشهيد وأهله وبينهم الامام علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين - وكان عليلاً بالذرب - وكذا رؤوس الشهداء أصحاب الامام الـ «٧٢» راساً عدا رأس الامام الحسين عليه السلام الذي كان ابن سعد قد أرسله الى ابن زياد في الكوفة بعد القتل مباشرة - أي بعد ظهر يوم العاشر من المحرم سنة ٦١ هـ - وذلك على يد خولى بن يزيد.

هذا وقبل أن يغادر الاسرى من النسوة والاطفال والصبية، بما فيهم الامام

العليل زين العابدين عليه السلام ، أرض المجزرة الرهيبة، تحت حراسة جلاوزة ابن سعد، قالت النسوة السبايا للحراس: بحق الله إلا مررنا على مصرع الحسين وأحدات الشهداء، فجاز الركب ساحة المعركة حيث الاشلاء مبعثرة في الدماء. فلما نظر النسوة الى القتلى صحن وضربن وجوههن. فصاحت زينب: وامحمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الاعضاء (الى آخر ما مر ذكره في الفصل السابق). فضجت النسوة من ورائها بالنواح، وبكى كل عدو وصديق من هذا الموقف الرهيب. كما أن سكينة بنت الحسين عليه السلام اعتنقت جسد أبيها فاجتمع عليها عدة من الأعراب حتى جروها عنه. وكان هذا أول نواح عام على ضحايا الطف بعد المعركة الشنيعة والمجزرة الرهيبة.

وفيما يلي أقوال بعض المؤرخين الثقات في وصف المعركة بإيجاز، مما له صلة ببحث النياحة:

١ - جاء في الجزء «١: ١٢١» من « المجالس السنية » عند وصف ساعة طعان الامام لوحده للاعداء، قول المؤلف: « فسقط عليه السلام عن فرسه الى الارض على خده الأيمن، ثم قام. وخرجت أخته زينب الى باب الفسطاط وهي تنادي: وا أخاه، وا سيداه، وا أهل بيتاه، ليت السماء أطبقت على الأرض، وليت الجبال تدكدكت على السهل [1]. وختمت نداءها هذا - الذي مر ذكره في الفصل السابق - قائلة: ويلكم أما فيكم مسلم؟ فلم يجبها أحد بشيء ».

٢ - وجاء في الصفحة «١٢٥» من الكتاب نفسه ما عبارته: « لما قتل الحسين وضعت أم كلثوم يدها على أم رأسها ونادت: وا محمداه، وا جعفراه، وا حمزتاه، هذا حسين بالعراء، صريع بكربلاء، محزوز الرأس من القفا، مسلوب العمامة والردا - الى أن يقول المؤلف الجليل عند وصف سلب خيم الامام وزين العابدين

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٥٤.

علي بن الحسين عليه السلام طريح الفراش مريض بالذرب (الاسهال) وأراد شمر قتله فمنعه عمر بن سعد - ما نصه: « حتى جاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين فقال لأصحابه: لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء، ولا تتعرضوا لهذا الغلام المريض .. ».

ثم يضيف المؤلف الى ذلك قوله: « وفي رواية: انهم أشعلوا النار فالفسطاط فخرجن منه النساء باكيات مسلبات .. ».

٣ - جاء في الجزء «١: ١١٦» من الكتاب نفسه عن حادث مقتل العباس بن علي عليه السلام فيقول: فضربه آخر من الاعداء بعمود فقتله، فوقف عليه الحسين عليه السلام منحنياً، وجلس عند رأسه يبكي بكاء شديداً حتى فاضت نفس العباس الزكية. ولنعم ما قال القائل:

أحق الناس أن يبكي عليه ... فتى أبكى الحسين بكربلاء

أخوه وابن والده علي ... أبو الفضل المضرج بالدماء

ومن واساه لا يثنيه شيء ... وجاد له على عطش بماء

٤ - وفي الصفحة «١٢٣» من نفس الكتاب قوله: « وبعد أن احتز شمر رأس الحسين دفعه الى خولي فقال: احمله الى الأمير عمر بن سعد، وهذا أرسله حالاً الى ابن زياد في الكوفة .. ».

٥ - وفي الجزء «١: ١٢٦» منه قوله: « لما كان يوم عاشوراء سرح عمر بن سعد برأس الحسين مع خولى بن يزيد الى عبيد الله بن زياد. قال الطهري وابن الأثير وغيرهما: فوجد خولى القصر مغلقاً فأتى بالرأس الى منزله فوضعه تحت أجانة ودخل فراشه وقال لامرأته جئتك بغنى الدهر، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار: فقالت: ويلك جاء الناس بالذهب والفضة وجئت برأس ابن بنت رسول الله، والله لا يجمع راسي ورأسك بيت، وقامت من الفراش فخرجت من الدار .. ».

٦ - وفي الصفحة «١٢٦» منه أيضاً بعد وصف حز رأس الحسين عليه السلام من قبل

شمر وأرساله الى ابن سعد ثم الى ابن زياد ما نصه: « وأمر ابن سعد برؤوس الباقين من أصحاب الحسين وأهل بيته فقطعت وكانت «٧٢» رأساً وسرح بها الى ابن زياد، وأقام بقية اليوم العاشر واليوم الحادي عشر الى الزوال ثم توجه الى الكوفة، وحمل مع نساء الحسين وبناته وأخواته ومن كان معه من الصبيان، وفيهم علي بن الحسين قد نهكته العلة فقالت النسوة: بحق الله إلا مررتم بنا على مصرع الحسين، فمروا بهم على الحسين وأصحابه وهم صرعى، فلما نظر النسوة الى القتلى صحن وضربن وجوههن. قال الراوي: فوالله لا أنسى زينب وهي تندب الحسين وتنادي بصوت حزين وقلب كئيب: يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا حسينك مرمل بالدماء، مقطع الأعظاء، وبناتك سبايا، الى الله المشتكى، والى محمد المصطفى والى علي المرتضى والى فاطمة الزهراء والى حمزة سيد الشهداء. يا محمداه، هذا حسين بالعراء تسفي عليه ريح الصبا. واحزناه،واكرباه عليك با أبا عبد الله. اليوم مات جدي رسول الله. يا أصحاب محمد، هؤلاء ذرية المصطفى يساقون سوق السبايا - الى أن يقول المؤلف - قال: فأبكت والله كل عدو وصديق. ثم ان سكينة بنت الحسين اعتنقت جسد أبيها فاجتمع عدة من الأعراب حتى جروها عنه ... ».

٧ - وفي الصفحة «١٣٨» من كتاب « سيد الاوصياء ونجله سيد الشهداء » المار ذكره قول المؤلف: « الرحيل - ثم أمر عمر بن سعد بسبي العيال وترحيلهم الى الكوفة، فأركب النساء ومروا بهن على مصارع القتلى، فلما رأين النساء تلك الأجساد المطهرة مقطعة الأوصال، قد فصلت عنها رؤوسها، علت أصواتهن بالبكاء، وصحن صيحة واحدة: وا جداه، وا محمداه، وا أبتاه، وا علياه. وألقت عقيلة بني هاشم زينب نفسها على جسد أخيها الحسين، ووضعت يدا تحت جسده الطاهر ورفعته الى السماء وقالت: الهي تقبل منا هذا القربان .. ».

٨ - جاء في الجزء «١: ١٠٧» من كتاب « المجالس الحسينية » لمؤلفه الشيخ

محمد جواد مغنية، نقلاً عن مقال منشور في عدد شباط ١٩٥٩ م من مجلة « الغد » المصرية ما نصه: « واندفعت زينب من خبائها نحو أخيها حاسرة الرأس ملتاعة وزعقت بكل قواها .. واحسيناه. ثم سقطت مغمى عليها من الحزن العميق ... ».

٩ - جاء في الصفحة «٦٣» من كتاب « مدينة الحسين » السلسلة الثانية المار ذكره، نقلاً عن كتاب « الحدائق الوردية » ما عبارته: « بعث عمر بن سعد برأس الحسين مع خولى بن يزيد الأصبحي وحميد بن مسلم في عشية عاشوراء الى عبيد الله بن زياد في الكوفة ... ».

وقال هذا المؤلف في مكان آخر من كتابه ما نصه: « وكان مع رأس الحسين رأس العباس. كما أمر عمر بن سعد بقطع رؤوس الباقين من أصحاب الحسين فقطعت وأرسلت الى الكوفة .. ».

* * *

الفصل التاسع

بنو أسد تدفن أجساد الشهداء

ما عتمت عشية اليوم الثاني عشر من المحرم سنة ٦١ هـ - أي اليوم الثالث على استشهاد الامام وصحبه وآله - إلا وكانت قد عادت العشائر التي كانت تحيط بمنطقة القتال في كربلاء، والتي كانت قد ضعنت موقتاً عنها بمناسبة القتال، وهي عشائر بني عامر من قبائل بني أسد من سكان قريتي الغاضرية ونينوى، وكانت أكثريتها تشايع آل بيت النبوة صلى الله عليه و آله و سلم وتوالي الحركة الحسينية، فبادرت هذه العشائر فور عودتها الى التعرف على أجساد المستشهدين الزكية التي تركها ابن سعد في العراء تسفي عليها الرياح. ثم أخذ أفراد هذه العشائر يحفرون للأجساد الحفر اللازمة، وقد دفنوا فيها أشلاءها الممزقة. وقد وصفت كتب التاريخ بايجاز حادث دفن هذه الأجساد على يد تلك العشائر. وانقل تالياً بعض المرويات عن ذلك الوصف:

١ - جاء في الصفحة «٦٤» من كتاب « مدينة الحسين » المار ذكره ما نصه: « أجمع المؤرخون على أن قوماً من بني أسد [١] كانوا نزولاً في الغاضرية قدموا كربلاء بعد أن رحل ابن سعد فصلوا على الجثث الطاهرة ودفنوها .. ».

٢ - تقول رواية أخرى روتها كتب المقتل: إن نياحة الذين قاموا بدفن

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٣٥٠، ارشاد المفيد ٢: ١١٤.

أجساد الشهداء كانت عظيمة حين الدفن وبعده، لا سيما بعض النسوة اللواتي كن يرافقن الرجال في ساحة المعركة وساعة الدفن. وهكذا لم تمرالايام والاسابيع والشهور والسنوات إلا وأصبحت تلك القبور مزارات تجرى عليها الخيرات، وتتلى عليها المدائح، وتقام حولها المناحات في السر والعلن، وتتردد ذكرى هذه الفاجعة الاليمة التاريخية حول تلك القبور وفي البلدان الاسلامية بأقطارها المختلفة في جميع بقاع الأرض، وتسير مواكب العزاء، وينشد الرثاء، وتمثل الواقعة، وتجدد حوادث المجزرة الرهيبة.

* * *

الفصل العاشر

أهل الكوفة ينوحون على الحسين عليه السلام وأهله

قلت في الفصل الثامن: إن عمر بن سعد بارح أرض المعركة « كربلاء » قبيل ظهيرة اليوم الحادي عشر من محرم، ومعه سبايا سيد الشهداء عليهم السلام من النساء والأطفال، وفي مقدمتهم الامام العليل علي بن الحسين زين العابدين و «٧٢» رأساً من رؤوس شهداء الطف، سائراً بهم الى الكوفة حيث قصر أميره عبيدالله بن زياد. وفيما يلي وصف لما جرى على هذه السبايا منذ وصولها الى ضواحي الكوفة، ومدة مكوثا وحتى خروجها منها قاصدة الشام، وما لاقاه ركب هذه السبايا من أهل الكوفة من نياحة وعزاء ومناحة:

١ - جاء في الصفحة « ١٤٥ » من كتاب « مقتل سيد الاوصياء ونجله سيد الشهداء » المار ذكره ما لفظه: « ثم أمر عمر بن سعد بأن تسير سبايا آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الى الكوفة. فلما دخلت السبايا الكوفة اجتمع الناس للنظر اليها، فأشرفت امراة من أهل الكوفة على الأسارى وسألت النساء وقالت: من أي الاسارى أنتن؟ فاجبنها نحن أسارى آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فنزلت من شرفتها وجمعت لهن أزرا ومقانع وضج أهل الكوفة بالبكاء. فقال لهم الامام زين العابدين: « أتنوحون وتبكون من أجلنا، فمن الذي قتلنا »؟

وفي هذه الأثناء خطبت زينب، ثم فاطمة بنت سيد الشهداء، ثم أم كلثوم

بنت الامام علي عليه السلام، ثم الامام زين العابدين. وبعد كل خطبة كان الناس يضجون بالبكاء والنحيب، ونشرت النساء شعورهن، وخمشن وجوهن، ولطمن خدودهن، ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال والاطفال والنساء، فلم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم.

٢ - قال الشيخ المفيد في « ارشاده » ما نصه « ولما وصل رأس الحسين من كربلاء الى الكوفة ووصل ابن سعد - لعنه الله - من غد يوم وصوله ومعه بنات الحسين وأهله، جلس ابن زياد للناس في قصر الامارة فأذن للناس اذنا عاما وأمر باحضار الرأس فوضع بين يديه، فجعل ينظر اليه ويتبسم وفي يده قضيب يضرب به ثناياه، وكان الى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو شيخ كبير، فلما رآه يضرب بالقضيب ثناياه قال له: ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا اله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما لا احصيه كثرة تقبلهما، ثم انتحب باكياً. فقال له ابن زياد: أبكى الله عينك، أتبكي لفتح الله؟ والله لو لا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك. فنهض زيد بن أرقم وهو يقول: أيها الناس أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، والله ليقتلن خياركم، وليستعبدن شراركم ؛ فبعداً لمن يرضى بالذل والعار .. » [١].

ويستطرد المفيد في « إرشاده » بوصف مثول بقية الأسرى من آل الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد، وقوله لزينب: قد شفى الله نفسي من طاغيتك والعصاة من أهل بيتك. فيقول المفيد: « فرقت زينب وبكت وقالت: لعمري لقد قتلت كهلي ... » [٢] الى آخر الحديث.

---

(١) ليس في المصدر « وهو يقول: ايها الناس ... بالذل والعار »، وبدلها في المصدر « من بين يديه وصار الى منزله ».

(٢) ارشاد المفيد ٢: ١١٤.

وقد أستمر عويل ونحيب وبكاء ونواح أهل الكوفة من الرجال والنساء على مرأى من السبايا والاسارى، وأسقط في ايدي أهل الكوفة من هول الفاجعة وذهلوا. وقد عمت هذه النوائح على سبايا الحسين عليه السلام الاوساط الكوفية طيلة ايام مكوثها فيها.

٣ - جاء في الجزء «١: ١٣٥» من كتاب « المجالس السنية » السابق الذكر بعد ان يذكر المؤلف تفصيل الخطبة التي ألقتها فاطمة الصغرى بنت الامام الشهيد عليه السلام على الكوفيين ما نصه: « وقبيل انتهائها من الخطبة ارتفعت اصوات الكوفيين بالبكاء والنحيب وقالوا: حسبك يا بنت الطيبين فقد احرقت قلوبنا، وأنضجت نحورنا، وأضرمت اجوافنا، فسكتت .. » [١].

٤ - وفي الجزء « ١: ١٣٢ » منه ما نصه: « لما جيء بالسبايا من أهل البيت الى الكوفة، خطبت أم كلثوم بنت علي عليه السلام في ذلك اليوم من وراء كلتّها، رافعة صوتها بالبكاء » [٢].

ثم قال المؤلف - بعد أن ذكر خطبتها ما عبارته: « فضج الناس بالبكاء والنحيب، ونشر النساء شعورهن، ووضعن التراب على رؤوسهن وخمشن وجوههن، ولطمن خدودهن ودعون بالويل والثبور، وبكى الرجال، فلم ير باك وباكية أكثر من ذلك اليوم ... ».

ثم يستطرد الكتاب مشيراً الى خطبة الامام زين العابدين مخاطباً الناس يقول: « فارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية، وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون ».

٥ - روى ابن طاووس الحسيني في كتابه « اللهوف في قتلى الطفوف » هذه

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٦٧.

(٢) في المصدر زيادة (والله).

الرواية: « إنه لما جيء بسبايا أهل البيت الى الكوفة جعل أهل الكوفة ينوحون ويبكون. قال بشر [١] بن خزيم الاسدي: ونظرت الى زينب بنت علي عليها السلام يومئذ فلم أر خفرة أنطق منها، كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام وقد أومأت الى الناس أن اسكتوا فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس، ثم قالت: الحمد لله، والصلاة على محمد وآله الطاهرين. أما بعد، يا أهل الكوفة [٢] فلا رقأت الدمعة ولا قطعت [٣] الرنة ... » الى آخر الخطبة.

ويستطرد ابن طاووس بعد نقل الخطبة كلها ويقول نقلاً عن بشر: « فوالله لقد رأيت الناس يومئذ حيارى يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم. ورأيت شيخاً واقفاً الى جنبي يبكي حتى اخضلت لحيته وهو يقول: بأبي أنتم وأمي، كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل، لا يخزى ولا يبزى ... » [٤].

٦ - جاء في كتاب « الصواعق المحرقة » لابن حجر قوله: « ومن الصحابة الذين بكوا الحسين أنس بن مالك، فانه لما حمل رأس الحسين لابن زياد في الكوفة، جعله في طست، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله في أنفه ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً، إنه كان لحسن الثغر. وكان عنده أنس فبكى وقال: كان أشبههم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم » [٥].

وروى هذا الحادث الترمذي [٦]، وكذا كتاب « تذكرة الخواص » [٧] لسبط

---

(١) في المصدر (بشير).

(٢) في المصدر زيادة (يا اهل الختل والغدر اتبكون).

(٣) في المصدر (ولا هدأت).

(٤) اللهوف في قتلى الطفوف: ٦٣.

(٥) الصواعق المحرقة: ١١٨.

(٦) صحيح الترمذي ٥: ٦٥٩ | ٣٧٧٨.

ابن الجوزي، كذا البخاري [٨] عن ابن سيرين.

٧ - جاء في الصفحتين « ١٣٧ و ١٣٨» من كتاب « نهضة الحسين » عند وصفه وصول السبايا والأسرى الى الكوفة ما نصه: « وأهل الكوفة في عبرة وعبرة من هذا المشهد الغريب، يضجون ويعجون مما جرى على آل الرسول ﷺ، وفيهم من يناول الأطفال بعض الخبز والتمر رأفة ورحمة. فحري بالحرة الهاشمية - زينب سليلة الرسول - أن تصرخ بهم وتقول: إن الصدقة محرمة علينا أهل البيت. ونساء الأزقة والسطوح باكيات على هؤلاء.

قال خزيمة الاسدي: دخلت الكوفة فصادفت منصرف علي بن الحسين بالذرية من كربلاء الى ابن زياد فرأيت نساء الكوفة يومئذ قياماً يندبن متهتكات الجيوب، وسمعت علي بن الحسين وهو يقول بصوت ضئيل قد نحل من شدة المرض: يا أهل الكوفة، أتبكون علينا فمن قتلنا غيركم؟ ».

ويستطرد كاتب « نهضة الحسين » نقلاً عن خزيمة قوله: « فو الله لقد رأيت الناس يومئذ حيار يبكون وقد وضعوا أيديهم في أفواههم ... ».

٨ - وذكرت الدكتورة بنت الشاطئ - وهي عائشة بنت عبد الرحمن - في الصفحة «٧٣٤» من « موسوعة آل النبي » ما نصه: « ودخل الموكب الكوفة. ووقفت الجموع محتشدة تشهد نساء البيت النبوي في طريقهن الى عبيد الله بن زياد، وسمعت آهة من هنا، وشهقة من هناك، وكلمة من هنالك، رثاء وعزاء. ورؤيت نساء الكوفة قياماً يندبن مخرقات الجيوب، وبكى الباكون الكريمات المستذلات. فلم تطق زينب على ذلك صبراً، لم تطق أن ترى أهل الكوفة يبكون الحسين وآله وهم ضحاياهم، ويرثون للأميرات من بنات الرسول وما انتهك

---

(٧) تذكرة الخواص: ٢٣١.

(٨) صحيح البخاري ٥: ٣٢ باب مناقب الحسن والحسين عليهما السلام .

حرمتهن سواهم ».

ثم تستطرد بنت الشاطئ فتقول: « حتى استقرت عينا زينب على أولئك الباكين فأشارت اليهم أن اسكتوا، فطأطأوا رؤوسهم، خزياً وندماً على حين مضت هي تقول ... » الخ.

ثم تنقل هذه المؤلفة الباحثة فقرات من خطبة زينب في الكوفة وتقول: « قال من سمعها: فلم أر والله خفرة أنطق منها، كأنما تفرغ عن لسان أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب. فلا والله ما أتمت حديثها حتى ضج الناس بالبكاء، وذهلوا وسقط ما في أيديهم من هول المحنة الدهماء ... ».

الفصل الحادي عشر

الشام ومناحتها على الحسين عليه السلام وأهله

وقد سارع عبيد الله بن زياد بالكتابة الى يزيد بن معاوية في الشام يعلمه بمصرع الامام الشهيد عليه السلام ووصول سباياه ورؤوس القتلى الى الكوفة، فأجابه يزيد بالاسراع في إيفاد الأسرى من السبايا مع الرؤوس اليه، فبادر ابن زياد حالاً بارسال ركب الأسرى والسبايا والرؤوس الى الشام. فبعث الرؤوس مع زجر بن قيس، وأرسل السبايا أثر الرؤوس مع مخفر بن ثعلبة العائذي وشمر بن ذي الجوشن.

ولم يكد هذا الركب الحزين يصل الى العاصمة الأموية إلا وعمت النياحات أو ساطها عليه، كما كانت قد عمت الأوساط الكوفية وسائر المدن والنواحي والقصبات التي مر بها هذا الركب المفجع. ولقد تناقلت الروايات وصف هذه المناحات في الشام فانقل منها بعض ما يلي:

١ - جاء في الجزء «١: ١٤٣» من كتاب « المجالس السنية » السالف الذكر ما نصه: « إنه عند ما أدخل ثقل الحسين عليه السلام وسباياه ونساؤه على يزيد بن معاوية في الشام، وهو بين حاشيته وأعيانها ووجهائها، وهم مقزنون في الحبال، والامام زين العابدين عليه السلام مغلول. قال الامام عليه السلام مخاطباً يزيد: أنشدك الله ما ظنك برسول الله لو رآنا على هذه الصفة؟ فلم يبق في القوم أحد إلا وبكى. فأمر يزيد بالحبال فقطعت، وأمر بفك الغل عن الامام زين العابدين عليه السلام .

ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يدي يزيد الذي أجلس النساء خلفه لئلا

ينظرن اليه، فجعلت فاطمة وسكينة بنتا الامام الحسين عليه السلام يتطاولان لينظرا الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس. فلما رأين الرأس صحن، فصاحت نساء يزيد، وولولت بنات معاوية، فقالت فاطمة: أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟ فبكى الناس، وبكى أهل داره حتى علت الأصوات. وأما زينب فأنها لما رأت الرأس أهوت الى جيبها فشقته، ثم نادت بصوت حزين يقرح القلوب: ياحسيناه، يا حبيب رسول الله، يا ابن مكة ومنى، يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء، يا ابن بنت المصطفى ... قال الراوي فأبكت والله كل من كان حاضراً في المجلس ويزيد ساكت، ثم جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد تندب الحسين وتنادي: يا حبيبا، يا سيد أهل بيتنا، يا ابن محمداه، يا ربيع الأرامل واليتامى، يا قتيل أولاد الأدعياء، فأبكت كل من سمعها. وكان في السبايا الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين عليه السلام، وهي أم سكينة بنت الحسين وأم عبد الله الرضيع المقتول بكربلاء، فأخذت الرباب الرأس ووضعته في حجرها وقبلته ... ثم أقيمت المناحة ثلاث أيام وصالا ... ».

وكانت هذه أول مناحة عامة على الحسين عليه السلام وأهله وآله وصحبه تقام في الشام، إذ إن الروايات تفيد بأن يزيد أمر بأن تقام للسبيا والأسرى دار تتصل بداره، وكان هؤلاء مدة مقامهم في أيامهم الحزينة بالشام ينوحون على الحسين في سرهم وعلنهم.

هذا ولم تكن بنات آل البيت والهاشميات وحدهن الباكيات بل واستهن نساء بني أمية بدموعهن، فلم تبق أموية إلا وأخذت تبكي وتنوح على الحسين عليه السلام وسباياه.

٢ - جاء في كتاب « أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام » لمؤلفه عمر كحالة، عند بحثه عن مجلس يزيد في الشام وحضور السبايا فيه. قوله: « ثم أخرجهن فأدخلهن دار يزيد بن معاوية، فلم تبق امرأة من آل يزيد إلا أتتهن

وأقمن على الحسين المناحة ثلاثاً ... » [1].

٣ - وصف السيد عبد العزيز سيد الأهل في مؤلفه: « زين العابدين علي بن الحسين عليه السلام » كيفية وصول الامام عليه السلام ومعه السبايا الى الشام وصعود الامام المنبر ليخطب في الناس، ثم يقول: « وجعل علي بن الحسين يخطب ويفتخر بأهل بيته ويسميهم باسمائهم فرداً فرداً، ويذكر فضائلهم وأياديهم على الملة والناس، وما زال يقول ويطنب حتى بكى الناس وانتحبوا، وتحركوا أو كادوا. فكان أيضاً أول انتحاب ... ».

٤ - جاء في « موسوعة آل النبي » المار ذكرها عند ترجمة الرباب بنت امرئ القيس بن عدي زوجة الامام الحسين التي توفيت سنة ٦٢ هـ، والتي كانت ضمن أسرى ركب سبايا الحسين الى الكوفة وفي الشام والمدينة: « إنها - أي الرباب - قد أنشدت هذين البيتين عندما أخذت رأس الحسين وقبلته ووضعته في حجرها:

واحسينا فلا نسيت حسيناً أقصدته أسنة الأعداء

غادروه بكربلاء صريعاً لا سقى الله جانبي كربلاء

وكانت هذه السيدة الجليلة لا تهدأ ليلاً ولا نهاراً من البكاء على الحسين ولم تستظل تحت سقف حتى ماتت بعد سنة كاملة ... ».

٥ - وفي الجزء «١: ١٤١» من « المجالس السنية » عند وصفه كيفية وصول السبايا الى درج باب المسجد الجامع، في الشام، قال المؤلف ما عبارته: « جاء شيخ وأخذ يشتم النساء والسبايا، جابهه الامام زين العابدين بتعريف السبايا وبذكر بعض آيات القرآن الكريم، وقال له: نحن هم الذين أشار اليهم القرآن، فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه الى السماء وقال: اللهم أني أبرأ اليك من عدو آل محمد. ثم قال: هل لي من توبة؟ فقال له الامام: نعم إن تبت تاب عليك الله،

---

(١) أعلام النساء ٢: ٩٧.

وأنت معنا، فقال: إني تائب. فبلغ يزيد ذلك فأمر به فقتل ... ».

٦ - في الجزء «١: ١٤٩» من « المجالس السنية » عند وصف صعود الامام زين العابدين المنبر في الشام وإلقائه خطبة موجزة جاء ما نصه: « فلم يزل يقول الامام: أنا، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن تكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام .. ».

٧ - جاء في الصفحة «٧٤٦» من « موسوعة آل النبي » في وصف مثول السبايا بين يدي يزيد ما نصه: « فهم يزيد أن يتلو الآية: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ) [الشورى: ٣٠] .. لكنه ما لبث أن سكت، فقد كان صراخ النسوة يسمع من بعيد، فاجعا مؤثراً، عالي الرنين. ولم تكن بنات بني هاشم وحدهن الباكيات بل واستهن نساء بني أمية بدموعهن. فلم تبق من آل معاوية امرأة إلا استقبلتهن تبكي وتنوح على الحسين، وأقيمت المناحة ثلاثة أيام وصالاً ثم أمر يزيد فجهزن للسفر لى المدينة في صحبة حارس أمين، معه خيل وأعوان ».

٨ - في الصفحة «١٤٧» من كتاب « نهضة الحسين » عند الحديث عن اختتام مثول السبايا والأسرى بين يدي يزيد يقول مؤلفه الجليل ما لفظه: « هنا، وفي هذه الساعة انطفأت جذوة الانتقام التي كان لهيباً يستعر في صدر يزيد من قبل. وهنا خاتمة المصائب. هنا أذن يزيد لأهل البيت النبوي بإقامة العزاء لفقد سيدهم ليالي وأياماً، وعلت من بيوت يزيد ونسوته أصوات البكاء والعويل كحمامات الدوح يتجاوبن مع النوادب من آل الرسول على سيد شباب أهل الجنة ».

٩ - جاء في الصفحة «١٣٣» من كتاب « المجالس الحسينية » لمؤلفه الشيخ مغنية، نقلاً عن كتاب « نفس المهموم » ما نصه: « إن هند بنت عبد الله بن عامر كانت تحت الحسين عليه السلام فطلقها وتزوجت يزيد. وحين دخل السبايا على يزيد في الشام حسرت هند عن رأسها وشقت الثياب ودخلت على يزيد في مجلسه تندب وتصيح، وقالت: يا يزد أرأس ابن فاطمة بنت رسول الله مصلوب؟ ... ».

١٠ - جاء في الصفحة «١٤٢» من « المجالس السنية » ما عبارته: « روي أن بعض فضلاء التابعين وهو خالد بن معدان لما شاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فلما وجدوه بعد أن فقدوه وسألوه عن سبب ذلك فقال: ألا ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشأ يقول:

جاءوا برأسك يابن بنت محمد ... مترملاً بدمائه تترميلا

وكانما بك يابن بنت محمد ... قتلوا جهاراً عامدين رسولا

قتلوك عطشاناً ولما يرقبوا ... في قتلك التأويل والتنزيلا

ويكبرون بأن قتلت وإنما ... قتلوا بك التكبير والتهليلا [١]

١١ - ورد في الصفحة «١٥٣» من كتاب « إقناع اللائم » ما عبارته:

« وفي العقد الفريد [٢] عن المدائني بسنده عن الحسن البصري قال: قتل مع الحسين ستة عشر من أهل بيته والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يشبهون بهم، وحمل أهل الشام بنات رسول الله سبايا على ظهور الابل، فلما أدخلوا على يزيد قالت فاطمة بنت الحسين: يا يزيد، أبنات رسول الله سبايا؟ قال: بل حرائر كرام، أدخلي على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت. قالت: فدخلت اليهن فما وجدت فيهن سفيانية إلا متلدمة تبكي. وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيب معه:

عيني ابكي بعبرة وعويل ... واندبي إن ندبت آل الرسول

ستة كلهم لصلب علي ... قد اصيبوا وخمسة لعقيل

١٢ - جاء في الصفحة «٣٥٦» من تاريخ الطبري المجلد الرابع، عند ذكره وضع رأس الحسين بين يدي يزيد في الشام ما نصه: « وقيل [٣]: إن هنداً بنت

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٦.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٣٢.

(٣) في المصدر هكذا: (قال: فسمعت دور الحديث هند بنت عبد الله بن عامر بن كريز

عبد الله بن عامر زوجة يزيد سمعت بما يدور في مجلس زوجها فتقنعت بثوبها وخرجت، فقالت: يا أمير المؤمنين أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول الله؟ قال: نعم، فأعولي عليه وحدي [1] عجل عليه ابن زياد فقتله، قتله الله ... ».

١٣ - جاء في الصفحة «٢١١» من « إقناع اللائم » عند بحثه عن أفراح عاشوراء لدى بعض الفرق وخاصة في الشام قوله: « والصحيح أن الذين سنوها هم بنو أمية كلهم وأتباعهم من زمن يزيد لا خصوص الحجاج. ولما دخل سهل بن سعد الصحابي الشام رآهم قد علقوا الستور والحجب والديباج وهم فرحون مستبشرون، وعندهم نساء يلعبن بالدفوف والطبول. فقال في نفسه: ترى لاهل الشام عيداً لا نعرفه؟ ثم علم أن ذلك بسبب دخول رأس الحسين عليه السلام ، فعجب لذلك ».

١٤ - وللسيد الرضي في هذه الأعياد هذا البيت الذي أورده كتاب « اقناع اللائم » أيضاً:

كانت مآتم بالعراق تعدها أموية بالشام من أعيادها

وكذلك لابن منير الدين الطرابلسي في رائيته المشهورة هذه الأبيات في تلك الأعياد:

وحلقت في عشر المحر م ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره وصيام أيام أخر
ولبست فيه أجمل ثو ب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا أصا ح من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطر يق أقص شارب من عبر

* * *

وكانت تحت يزيد بن معاوية فتقنعت).

(١) في المصدر زيادة (على ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصريحة قريش).

الفصل الثاني عشر

نوح السبايا والصحابة يوم أربعين استشهاد الحسين عليه السلام

لقد تأكد بالروايات المتواترة أن السبايا والاسرى عرجوا بعد خروجهم من الشام على مجزرة كربلاء في اليوم العشرين من شهر صفر، هو اليوم المصادف لمرور أربعين يوماً على مقتل الامام الحسين عليه السلام ومصرع آله وأصحابه، وأقامت المناحات على الشهداء حول مصرعهم ومدفنهم بكربلا غير أن هناك خلافاً بين المؤرخين حول ان حضور ركب الاسرى والسبايا على قبول الشهداء في كربلاء هل كان في السنة نفسها - أي سنة ٦١ هـ - أو في السنة التي تلتها، - أي سنة ٦٢ هـ - ومعظم الروايات صريحة وكثير من الأدلة ناطقة بأن ذلك قد تم في العشرين من شهر صفر سنة ٦١ هـ وهي السنة التي صرع فيها الحسين وآله بكربلاء.

هذا بالاضافة الى أن بعض الصحابة من شيعة آل علي عليه السلام كانوا قد توافدوا أيضاً على ساحة المعركة في ذلك اليوم، وأقاموا العزاء والنوح فيه على تلك القبور. وصادف أن التقى ركب السبايا والأسرى بوفود الصحابة في هذه الساحة الحزينة العزلاء، فاقام الفريقان فيها مناحة على ضحايا البغي والظلم لم يسبق لها مثيل في ذلك العصر.

وانقل فيما يلي ماتوفر لدي من هذه الروايات.

١ - جاء في الصفحة «٧٤٧» من « موسوعة آل النبي » عند وصف الرحلة من الشام الى المدينة، وإلحاح دليل قافلة الأسرى والسبايا على قضاء حوائجهم

ما نصه:

« قالت زينب للدليل مرة: لو عرجت بنا على كربلاء فأجاب الدليل محزوناً: أفعل، ومضى بهم حتى أشرفوا على الساحة المشؤومة، وكان قد مضى على المذبحة يومئذ أربعون يوماً، وما تزال الأرض ملطخة ببقع من دماء الشهداء وبقية من أشلاء غضة، عفا عنها وحش الفلاة وناحت النوائح، وأقمن هناك ثلاثة أيام، لم تهدأ لهن لوعة، ولم ترفأ لهن دمعة. ثم أخذ الركب المتهك طريقه الى مدينة الرسول ... ».

٢ - ورد في رواية أخرى تنقلها أسناد الرواية المعتبرة مفادها: ان يزيد أمر برد السبايا والأسارى من الشام الى المدينة المنورة في الحجاز، مصطحبين بالرؤوس، تحت إشراف جماعة من العرفاء، يرأسهم النعمان بن بشير الأنصاري، فلما بلغ الركب أرض العراق في طريقه الى مدينة الرسول قالت زينب للدليل: مر بنا على طريق كربلاء، ومضى بهم حتى أشرفوا على ساحة القتل المشؤومة وكان جابر بن عبد الله الأنصاري الصحابي الجليل، وجماعة من بني هاشم، ورجال من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا العراق لزيارة قبر الحسين عليه السلام. فيقول في ذلك علي بن طاووس في كتابه « اللهوف »: « إن الأسارى لما وصلوا الى موضع مصرع الامام الحسين، وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام. فتوافدوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرحة للأكباد واجتمع عليهم أهل ذلك السواد وأقاموا على ذلك أياماً » [1].

٣ - أما قصة الصحابي الاشهر جابر بن عبد الله الأنصاري فتتلخص في أنه بعد أن علم بمقتل الامام الشهيد - وكان قد كف بصره - توجه من المدينة نحو

---

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٨٦.

أرض كربلاء، وعندما وصل الى قرية الغاضرية على شاطئ نهر الفرات، اغتسل في شريعتها، وتقمص بأطهر ثيابه، وتطيب بسعد كان مع صاحبه عطاء، ثم سعى نحو القبر الشريف حافي القدمين، وعليه علامات الحزن والكآبة، حتى وقف على الرمس الكريم، ووقع مغشياً عليه. وعند إفاقته من غشوته سمعه عطاء يقول: « السلام عليكم يا آل الله ... » الخ.

٤ - جاء في الجزء «١: ١٥١» من « المجالس السنية » ما عبارته: « لما رجع أهل البيت من الشام الى المدينة قالوا للدليل: مر بنا على طريق كربلاء، فلما وصلوا الى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم [1] ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قد وردوا لزيارة قبر الحسين، فتوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم، واجتمع عليهم أهل ذاك السواد، وأقاموا على ذلك أياماً.

وعن الأعمش عن عطيه العوفي قال: « خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه زائراً قبر الحسين، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثم اتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنشرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله تعالى حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه ياعطية، فألمسته إياه فخر على القبر مغشياً عليه. فرششت عليه شيئاً من الماء، فلما أفاق قال: يا حسين - ثلاثاً -. قال: حبيب لا يجيب حبيبه. ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شخبت أوداجك على أثباجك، وفرق بين بدنك ورأسك. أشهد أنك ابن خير النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى وسليل الهدى، وخامس آل الكسا، وابن سيد النقبا، وابن فاطمة سيدة النسا. ومالك لا تكون هكذا ». الى آخر كلامه.

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٣٥٣.

ثم يستطرد الكتاب حيث يقول: « ومضى عبد جابر ليرى منهم القادمون من ناحية الشام فما كان بأسرع من أن يرجع وهو يقول: يا جابر قم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعماته وأخواته. فقام جابر حافي الأقدام مكشوف الرأس الى أن دنا من زين العابدين، فقال الامام عليه السلام: أنت جابر؟ قال: نعم يا ابن رسول الله. قال: يا جابر ها هنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحرقت خيامنا ... ».

٥ - جاء في الصفحة «٣٦١» من كتاب « المدخل الى موسوعة العتبات المقدسة » لجامعه جعفر الخليلي عند ترجمة حال جابر بن عبد الله الانصاري الصحابي الجليل ما نصه: « وهو - أي جابر - أول من زار الامام الحسين في كربلاء بعد أربعين يوماً من وفاته. وزيارته هذه من الزيارات المشهورة ».

٦ - **أقول:** ومنذ ذلك التاريخ، ويوم «٢٠» صفر من كل عام أصبح يوماً مشهوداً في التاريخ الاسلامي. كما أنه صار من أعظم أيام الزيارات لقبر الحسين عليه السلام وشهداء الطف في كربلاء، إذ تحتشد فيه مئات الألوف من المسلمين في مدينة كربلاء، ويقيمون فيه المناحات الحزينة عند قبر الامام، ويسيرون المواكب العظيمة التي تمثل ركب الامام الشهيد عليه السلام وتعيد ذكراه المقرحة.

هذا ويحدثنا التاريخ بأن ركب السبايا والأسرى ترك أرض كربلاء بعد بقائه فيها مدة ثلاثة أيام أو أربعة ميمّمين شطر مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الحجاز.

* * *

الفصل الثالث عشر

مدينة الرسول تندب الحسين عليه السلام وآله

أما في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فيذكر التاريخ وتؤكد الروايات بأن عبيدالله بن زياد بعد أن كتب من الكوفةالى يزيد في الشام يخبره بمقتل الامام عليه السلام وتسلمه جواب يزيد بإيفاد الأسرى والسبايا ومعهم الرؤوس اليه في الشام، بادر يزيد حالاً بارسال عبد الملك بن حارث السلمي الى عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق وكان والي المدينة، وحاكمها، وعامل يزيد فيها، وأمره بأن يبشره بمقتل الامام الحسين عليه السلام وآله وصحبه. وفيما يلي بعض الروايات التي تحدثنا عن تفاصيل هذا الأمر:

١ - جاء في (إرشاد) المفيد ما نصه: « أنفذ يزيد عبد الملك بن أبي الحديث السلمي الى المدينة ليخبر عمرو بن سعيد بن العاص عامله على المدينة بقتل الحسين، فيقول عبد الملك[١]:

لما دخلت على عمر بن سعيد قال: ما وراءك؟ فقلت: ما يسرّ الأمير، قتل

---

(١) في المصد هكذا « ولما أنفذ ابن زياد برأس الحسين عليه السلام الى يزيد، تقدم الى عبد الملك بن أبي الحديث السلمي فقال: انطلق حتى تأتي عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة فبشره بقتل الحسين، فقال عبد الملك: فركبت راحلتي وسرت نحو المدينة فلقيني رجل من قريش فقال: ما الخبر؟ فقلت: الخبر عند الأمير تسمعه، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قتل - والله - الحسين ».

الحسين بن علي. فقال: أخرج فناد بقتله، فناديت، فلم أسمع [1] واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي حين سمعوا النداء بقتله.

ثم يستطرد فيقول: وخرجت أم لقمان زينب بنت عقيل بن أبي طالب ﷺ حين سمعت نعي الحسين حاسرة، ومعها أخواتها أم هاني، وأسماء، ورملة، وزينب بنات عقيل بن أبي طالب تبكي قتلاها في الطف، وهي تقول:

ماذا تقولون إن قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي [2]

٢ - تقول الدكتورة بنت الشاطئ في كتابها « سكينة بنت الحسين » صفحة «٦٨» عند الاشارة الى وصول السبايا الى المدينة عام ٦١ هـ ما نصه: « وضجت المدينة بسكانها وهي تستقبل بقايا الركب الحسيني الذي ودعته منذ قليل. وبرزت النساء - كل النساء - صارخات باكيات، وخرجت عقيلات بني هاشم من خدورهن حاسرات الوجوه، يندبن في لوعة: واحسيناه، واحسيناه. ولم تبق في المدينة دار إلا وبها مأتم، ولبثت مناحة الشهداء هناك قائمة أياماً ولياليَ، حتى جفت المآقي من طول ما سكبت من دمع، وحتى ضحل الحلق من طول ما أجهدها النواح ... ».

وتستطرد الدكتورة بنت الشاطئ فتقول: « وفي المدينة أقامت الرباب بنت امرئ القيس زوجة الحسين المأتم عليه، وبكت النساء معها حتى جفت دموعها. ولما أعلمتها بعض جواريها بأن السويق يسيل الدمعة أمرت أن يصنع السويق، وقالت: إنها تريد أن تقوى على البكاء، وقد خطبها بعد الحسين الأشراف، فأبت وقالت ما كنت لأتخذ حماً - أي أقارب الزوج - وهكذا بقيت الرباب سنة بعد

---

(١) في المصدر زيادة (والله).

(٢) ارشاد المفيد ٢: ١٢٣.

الحسين لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت ».

٣ - جاء في الصفحة «٥٠٨» من كتاب « أعلام النساء في عالمي العرب والاسلام » المار ذكره بعد وصف مسيرة السبايا من الشام الى المدينة ما نصه: « فلما دخلوا المدينة خرجت امرأة من بني عبد المطلب، ناشرة شعرها، واضعة كمها على رأسها، تلقاهم وهي تبكي وتنشد: « ماذا تقولون إن قال النبي لكم .. » الى آخر الاشعار المارة ذكره.

٤ - وقد نقل صاحب كتاب « إقناع اللائم » هذا الحادث بالنص التالي: « وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي الحنفي قال الواقدي: لما وصل الرأس - رأس الحسين - الى المدينة والسبايا، لم يبق بالمدينة أحد إلا وخرجوا وهم يضجون بالبكاء وخرجت زينب بنت عقيل بن أبي طالب تصيح: واحسيناه، وا أخوياه، وا أهلاه، وا محمداه ثم قالت:

ماذا تقولون إذا قال النبي لكم ... ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم
بأهل بيتي وأولادي أما لكم ... عهد أما أنتم توفون بألذمم
ذريتي وبنو عمي بمضيعة ... منهم أسارى ومنهم ضرجوا بدم
ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم ... أن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي

٥ - وفي الجزء «١: ١١٣» من « المجالس السنية » ما لفظه: « وكانت أم البنين - وهي فاطمة بنت حزام الكلابية - أم العباس واخوته: عبد الله، وجعفر، وعثمان، الذين قتلوا مع أخيهم الحسين يوم عاشوراء - أم هؤلاء الاخوة الاربعة - بعد قتلهم تخرج كل يوم الى البقيع في المدينة، وتحمل معها عبيد الله ابن ولدها العباس فتندب أولادها الأربعة خصوصاً اشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس يستمعون بكاءها وندبتها، وكان مروان بن الحكم على شدة عداوته لبني هاشم فيمن يجيء

---

(١) اقناع اللائم: ١٥٤، عن تذكرة الخواص.

فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي. فمما كانت ترثي به قولها في أولادها الأربعة:

لا تـــــدعيني ويـــــك أم البنـــــين تـــــذكريني بليـــــوث العـــــرين
كانـــت بنـــون لي أدعـــى بهـــم واليـــوم أصـــبحت ولا مـــن بنـــين
أربعـــة مثـــل نســـور الـــربى قـــد واصـــلوا المـــوت بقطـــع الـــوتين
تنـــازع الخرصـــان أشـــلاءهم وكلهـــم أمســـى صـــريعاً طعـــين
يـــا ليـــت شـــعري أكمـــا أخـــبروا بـــان عباســـاً قطيـــع اليمـــين

وفي الصفحة «١٠٩» من الكتاب نفسه ما عبارته: « وروي عن علي بن الحسين عليه السلام أنه نظر يوماً الى عبيد الله بن العباس بن علي فاستعبر ... ».

٦ - جاء في الجزء «١: ١٥٣» من كتاب « المجالس السنية » أيضاً ما نصه: « قال بشير بن حذلم، وكان من جملة ركب الأسارى والسبايا، ومعروفاً بقرض الشعر: بأنه حينما وصل ركب السبايا والأسرى ضواحي المدينة المنورة قال لي الامام زين العابدين عليه السلام: ادخل المدينة وانع أبا عبد الله الحسين عليه السلام. قال بشير: فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبي رفعت صوتي بالبكاء، وأنشدت أقول:

يـــا أهـــل يثـــرب لا مقـــام لكـــم بهـــا قتـــل الحســـين فـــادمعي مـــدرار
الجســـم منـــه بكـــربلاء مضـــرج والـــرأس منـــه علـــى القنـــاة يـــدار

ثم قلت: يا أهل المدينة، هذا علي بن الحسين مع عماته وأخواته قد حلوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله اليكم أعرفكم مكانه. قال بشير: فما بقيت في المدينة مخدرة ولا محجبة إلا برزن من خدورهن وهن يدين بالويل والثبور، ولم يبق في المدينة أحد إلا وخرج وهم يضجون بالبكاء، فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمر على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله وسمعت جارية تنوح على الحسين وتقول:

نعـــي ســـيدي نـــاع نعـــاه فأوجعـــا وأمرضـــني نـــاع نعـــاه فأفجعـــا

فعينيـــي جـــودا بالـــدموع وأســـكبا وجـــودا بـــدمع بعـــد دمعكمـــا معـــا
علـى مـن دهـى عـرش الجليـل فزعزعـا فأصـبح هـذا المجـد والـدين أجـدعا
علـــى ابـــن نـــبي الله وابـــن وصـــيه وإن كـــان عنـــا ســـاخطاً الـــدار أشـــعا

ثم قالت: أيها الناعي جددت حزننا بأبي عبد الله، وخدشت منا قروحاً لم تندمل، فمن أنت رحمك الله؟ فقلت: أنا بشر بن حذلم، وجهني مولاي علي بن الحسين وهو نازل بوضع كذا مع عيال أبي عبد الله الحسين ونسائه. قال: فتركوني مكاني وغادروني. فضربت فرسي حتى رجعت، فوجدت الناس قد أخذواالطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطأت رقاب الناس حتى قربت من باب الفسطاط وكان علي بن الحسين داخلاً فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي فوضعه له، وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت اصوات الناس بالبكاء من كل ناحية يعزونه، فضجت تلك البقعة ضجة شديدة، فأومأ بيده أن اسكتوا، فسكنت فورتهم، فخطب فيهم خطبة مؤثرة ثم دخل زين العابدين الى المدينة فرآها موحشة باكية، ووجد ديار أهله خالية، تنعى أهلها، وتندب سكانها ... »، وهكذا أقامت مدينة الرسول أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي الى النواح الفاجع.

٧ - في الصفحة «٢١٨» من كتاب « سكينة بنت الحسين » السالف ذكره ما عبارته: « المؤرخون يقررون: أن المدينة كلها كانت في مأتم عام لسيد الشهداء، وأن أمها الرباب - أي أم سكينة - قد أمضت عاما بأكمله حادة حزينة حتى لحقت بزوجها الشهيد، وأن أم البنين بنت حزام بن خالد العامرية، زوجة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، كانت تخرج الى البقيع كل يوم فتبكي أبناءها الأربعة .. ».

٨ - روى الشيخ الطوسي في أماليه المجلد الأول الصفحة ٣٢٢ بسنده عن عمرو بن ثابت، عن أبيه أبي المقدام، عن ابن جبير، عن ابن عباس قال: « بينا أنا راقد في منزلي اذ سمعت صراخاً عالياً من بيت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فخرجت

يتوجه بي قائدي الى منزلها، وأقبل أهل المدينة اليها الرجال والنساء [1] فقلت: يا ام المؤمنين مالك تصرخين وتغوثين؟ فلم تجبني، وأقبلت على النسوة الهاشميات وقالت: يا بنات عبد الطلب أسعدنني وأبكين معي، فقد قتل والله سيدكن وسيد شباب أهل الجنة، فقد قتل والله سبط رسول الله وريحانته الحسين. فقلت [2]: يا أم المؤمنين ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام الساعة شعثاً مذعوراً، فسألته عن شأنه، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم، فدفنتهم والساعة فرغت من دفنهم، قالت: فقمت حتى دخلت البيت وأنا لا أكاد أعقل، فنظرت وإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء فقال إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك واعطانيها النبي فقال: اجعلي هذه التربة في زجاجة أو قال: في قارورة ولتكن عندك، فاذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين. فرأيت القارورة الآن وقد صارت دماً عبيطاً تفور.

قال: فأخذت أم سلمة من ذلك الدم فلطخت به وجهها، وجعلت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين فجاءت الركبان بخبره وأنه قتل في ذلك اليوم.

قال عمرو بن ثابت - أحد رواة هذا الحديث -: دخلت على أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام فسألته عن هذا الحديث، وذكرت له رواية سعيد بن جبير هذا الحديث عن عبد الله بن عباس فقال أبوجعفر: حدثنيه عمرو بن أبي سلمة، عن أمه أم سلمة .. ».

٩ - قال سبط ابن الجوزي في كتابه « تذكرة الخواص » [3]: « ذكر ابن سعد عن أم سلمة: أنها لما بلغها قتل الحسين عليه السلام قالت: أو قد فعلوها؟ ملأ الله قبورهم

---

(١) في المصدر زيادة (فلما انتهيت اليها).

(٢) في المصدر (فقيل).

(٣) تذكرة الخواص: ٢٤٠.

ناراً. ثم بكت حتى غشي عليها ». وذكر هذا الحديث « الصواعق المحرقة » [1] أيضاً.

١٠ - ذكر ابن الاثير في تاريخه صفحة «٣٨» مجلد «٤» ونقلت ذلك « موسوعة آل النبي » صفحة «٧٤٨» ما يلي: « قال ابن عباس: رأيت النبي ﷺ الليلة التي قتل فيها الحسين وبيده قارورة وهو يجمع فيها دماً. فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذه دماء الحسين وأصحابه أرفعها الى الله تعالى فأصبح ابن عباس فأعلم الناس بقتل الحسين وقص عليهم رؤياه ».

وعلقت الدكتورة بنت الشاطئ في الصفحة نفسها من موسوعتها تلك على ذلك بقولها: « عندما نادى المنادي بقدوم علي بن الحسين الى المدينة، وانتشر صدى النعي حتى بلغ سفح أحد، ارتد الى البقيع، فقباء، خافتاً ممزقاً وما لبث أن تلاشى في صراخ الباكين وعويل المناديات. وبلغ العويل سمع أمير المدينة عمرو بن سعيد الأشدق فابتهج وقال:

عجت نساء بني زياد عجة كعجيج نسوتنا غداة الارنب

يوم بيوم عثمان، وناعية بناعية عثمان. ولم تبق مخدرة في المدينة إلا برزت من خدرها نائحة معولة ... ».

أقول: لقد نقل أقوال عمرو بن سعيد كل من تاريخ الطبري، وابن الأثير، وغيرهما من كتب المقتل.

ثم تواصل الدكتورة بنت الشاطئ كلامها فتقول: « وأهل الركب الحزين على الجموع التي خرجت لاستقباله، فما رأت مدينة الرسول افجع مشهداً، ولا رأت مثل ذلك اليوم أكثر باكياً وباكية ... ».

وختمت الكاتبة قولها بما يلي:

« وأقامت مدينة الرسول أياماً بلياليها تشهد المأتم الرهيب، وتصغي الى

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٩٧ قطعه منه، تاريخ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٦٣ و ٦٥.

النواح الفاجع، وتتلقى في ثراها الطاهر دموع الباكين ».

١١ ذكر كتاب « الأغاني » لأبي الفرج الاصفهاني نقلاً عن هشام الكلبي عن الرباب زوجة الحسين مانصه: « وخطبت بعد استشهاد الحسين فأبت وقالت: ما كنت لأتخذ حموا بعد ابن رسول الله [١]. ثم قالت ترثي الحسين:

ان الـــذي كـــان نـــورا يستضـــاء بـــه ... بكـــربلاء قتيـــل غـــير مـــدفون

ســـبط النـــبي جـــزاك الله صـــالحة ... عنـــا وجنبـــت خســـران المـــوازين

قـــد كنـــت لي جـــبلاً صـــعباً ألوذبـــه ... وكنـــت تصـــحبنا بـــالرحم والـــدين

مـــن لليتـــامى ومـــن للســـائلين ومـــن ... يغـــني ويـــؤوي اليـــه كـــل مســـكين

والله لا ابتغـــي صـــهراً بصـــهركم ... حـــتى اغيـــب بـــين الرمـــل والطـــين [٢]

١٢ - قال ابن الأثير في المجلد الرابع صفحة «٤٥» من تاريخه، عن الرباب زوجة الحسين ما عبارته: « وبقيت بعد الحسين سنة لم يظلها سقف بيت حتى بليت وماتت كمداً. وقيل: إنّها أقامت على قبره سنة وعادت الى المدينة فماتت أسفاً عليه ... ».

١٣ - جاء في الصفحة «٨٥» من كتاب « مقاتل الطالبيين » لأبي الفرج الأصفهاني ما نصه عن نياح أم البنين:

« وكانت أم البنين أم هؤلاء الاربعة الأخوة القتلى تخرج الى البقيع فتندب بنيها أشجى ندبة وأحرقها، فيجتمع الناس اليها يسمعون منها. فكان مروان يجيء فيمن يجيء لذلك، فلا يزال يسمع ندبتها ويبكي ».

١٤ - روى الطبري في تاريخه المجلد ٤: الصفحة ٣٥٨ ضمن حوادث سنة ٦١ هـ عن هشام، بسنده عن عمرو بن عكرمة: قال: « أصبحنا صبيحة قتل الحسين بالمدينة، فاذا مولى لنا يحدثنا: قال: سمعت البارحة منادياً ينادي وهو يقول:

---

(١) الاغاني ١٦: ١٤١.

(٢) الاغاني ١٦: ١٤٢.

أيهـــا القـــاتلون جهـــلاً حســـيناً أبشـــروا بالعـــذاب والتنكيـــل
كـــل أهـــل الســـماء تـــدعو علـــيكم مـــن نـــبي ومليـــك وقبيـــل
قـــد لعنـــتم علـــى لســـان ابـــن داو د موســـى وحامـــل الانجيـــل

وقد روى ابن حجر [١] عن الملا هذا الحديث عن أم سلمة حيث أنها قالت: لما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلاً يقول: « أيها القاتلون جهلاً حسيناً ». الى آخر الابيات.

ونقل الرواية والأبيات ابن الأثير [٢] ايضاً. وكذلك نقلها « إرشاد » [٣] المفيد، و « بحار الانوار » [٤] للمجلسي.

١٥ - جاء في الصفحة «١٤٧» من كتاب « نهضة الحسين » السالف الذكر ما نصه: « بلغ السبي النبوي المدينة، ولكن بأية حالة تعرف مبلغ التأثير في أهل البيت؟ خاطبت زينب المدينة قائلة:

مدينـــة جـــدنا لا تقبلينـــا فبالحســـرات والاحـــزان جينـــا
خرجنـــا منـــك بـــالاهلين جمعـــا رجعنـــا لا رجـــال ولا بنينـــا
وكنـــا في الخـــروج بجمـــع شمـــل رجعنـــا حاســـرين مســـلبينا
وكنـــا في أمـــان الله جهـــراً رجعنـــا بالقطيعـــة خائفينـــا
ومولانـــا الحســـين لنـــا أنـــيس رجعنـــا والحســـين بـــه رهينـــا
فـــنحن الضـــائعات بـــلا كفيـــل ونحـــن النائحـــات علـــى أخينـــا
ونحـــن الســـائرات علـــى المطايـــا نشـــال علـــى جمـــال المبغضـــينا [٥]

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٩٣.
(٢) الكامل لابن الاثير ٤: ٩٠.
(٣) الارشاد للشيخ المفيد ٢: ١٢٤.
(٤) بحار الانوار ٤٥: ١٩٩.
(٥) بحار الانوار ٤٥: ١٩٧ يروي هذه الابيات عن أم كلثوم.

ثم أخذت بعضادتي باب مسجد النبي ﷺ وقالت بلهفة: يا جداه إني ناعية اليك أخي الحسين. ولا زالت بعد ذلك لا تجف لها عبرة ولا تفتر من البكاء والنحيب. وكلما نظرت الى علي بن الحسين عليه السلام تجددت احزانها وزاد وجدها ... ».

١٦ - وفي الصفحة «١٥١» من الكتاب نفسه عند وصف وفود المعزين في المدينة على آل النبي للمواساة والتسلية يقول: « وكانت العائلة النبوية تحدد ذكراها في المدينة صباح مساء في حزن عميق، وشجن عظيم .. وتبكي على الحسين رجالاً ونساء ... ».

ثم يستطرد فيقول: « وكان وجوه المسلمين والموالون لآل البيت يفدون على بيوت آل النبي بالمدينة معزين ومواسين، وكان الواحد منهم يعبر عن مشاعره وأحزانه بأبلغ ما أوتي من روعة وقوة البيان، وحسن المواساة لهذه المصيبة، حتى تركوا ثروة أدبية رائعة في أدب التسلية والمواساة ... وبقيت بيوت آل البيت مجللة بالحزن والسواد، ولا توقد فيها النيران .. ».

ويختم الكاتب الجليل كلامه بقوله: « فصارت المآتم منهم وفيهم تقام في السنة مرة بعد ما كانت مستمرة .. ».

١٧ - جاء في الصفحة «١٦٢» من « إقناع اللائم » عند ذكر أم البنين ونياحتها في المدينة على استشهاد أولادها الأربعة في فاجعة كربلاء ما عبارته: « وكانت تقول في ندبتها، كما عن الأخفش في شرح كامل المبرد:

يـــا مـــن رأى العبـــاس كـــر ... علـــى جمـــاهير النقـــد [1]

ويلـــي علـــى شـــبلي أمـــا ... ل برأســـه صـــوب العمـــد

لـــو كـــان ســـيفك في يـــد ... يـــك لمـــا دنـــا منـــك أحـــد

---

(١) النقد: جنس من الغنم قصار الأرجل قباح الوجوه، وزاد البيت حسناً ان العباس من اسماء الاسد.

الفصل الرابع عشر

أول نياحة على الحسين عليه السلام وآله في مصر

أما السيدة زينب أخت الحسين عليه السلام فكان وجودها في مدينة الرسول بعد عودتها مع السبايا كافياً لأن يلهب شعور الحزن والأسى على شهداء كربلاء وأن يؤلب الناس على الطغاة وسفاكي الدماء، حتى كاد الأمر من جزاء ذلك يفسد على بني أمية، فكتب واليهم بالمدينة الى يزيد: « إن وجود زينب بين أهل المدينة مهيج للخواطر، وأنها فصيحة عاقلة لبيبة، وقد عزمت هي ومن معها على القيام للأخذ بثأر الحسين ».

وفور تسلم يزيد - في الشام - هذه الرسالة من عامله والي المدينة أمره يزيد بأن يفرق البقية الباقية من آل البيت في الأقطار والأمصار. فطلب الوالي الى السيدة زينب بأن تخرج من المدينة فتقيم حيث تشاء، فامتنعت في بادئ الأمر عن الخروج من المدينة، لكنها نزلت في النهاية على رأي نساء بني هاشم، فخرجت من المدينة، ورحلت الى مصر. وقد وصلتها في أول شعبان سنة «٦١» هـ، أي بعد مجزرة كربلاء بأكثر من سبعة أشهر.

واستقبلت من قبل أهالي مصر أعظم استقبال، وساروا بها الى قرية قرب « بليبس ». وكان في مقدمة مستقبليها مسلمة بن مخلد الانصاري أمير مصر. فلما أطلت على المستقبلين أجهش الجميع بالبكاء وحفوا بركبها، حتى إذ بلغت عاصمة مصر مضى بها « مسلمة » الى داره فأقامت بها قرابة عام.

وفي خلال هذه السنة التي أقامتها بمصر بذرت بذور الحركة المعادية لبني أمية، وأثارت الرأي العام المصري ضد من قاموا بقتل الامام الحسين وآله وأصحابه في كربلاء، كما أقامت المآتم الخاصة والعامة على أرواح هؤلاء الشهداء الميامين.

وقد ماتت السيد زينب عشية اليوم الرابع عشر من رجب، سنة «٦٢» هـ ولا زال قبرها منذ ذلك التاريخ حتى الآن في مصر مزاراً يفد اليه المسلمون للتبرك به.

وهكذا أخذت المآتم والمناحات تقام في مختلف المدن والقرى والقصبات والدساكر المصرية سراً وجهراً على شهداء الطف بكربلاء رغم ماكانت تلاقي من معارضة ومناهضة القائمين بالسلطة والحكم من الامويين، وقد اتسع نطاق إقامة هذه المآتم والأحزان والنياحات على استشهاد الامام الحسين عليه السلام في مجزرة كربلاء في جميع أكناف وأرجاء القطر المصري تدريجاً، وخاصة على زمن الفاطميين الذين أطلقوا الحرية للمصريين بمزاولة شعائر العزاء والحزن لسيد الشهداء عليه السلام طوال السنة وبالأخص في العشرة الأولى من شهر محرم من كل سنة، وخاصة يوم عاشوراء منه.

وفيما يلي أنقل بعض النتف التاريخية من أوثق المصادر عن إقامة شعائر المأتم الحسيني في القطر المصري منذ وطئت قدم السيدة زينب أرض مصر:

١ - جاء في « موسوعة آل النبي » قسم « بطلة كربلاء » صفحة «٧٥٥» ما نصه: « بزغ هلال شعبان عام ٦١ هـ في اللحظة التي وطئت قدم السيدة زينب أرض النيل، فاذا جموع من الناس قد احتشدت لاستقبالها. وساروا هكذا حتى بلغوا قرية بلبيس، فقابلتهم هناك جموع اخرى آتية من عاصمة الوادي الطيب.

إنه مسلمة بن مخلد الأنصاري أمير مصر في وفد من أعيان البلاد وعلمائها، قد خرجوا للقاء بنت الزهراء والامام علي وأخت الامام الشهيد.

فلما أطلعت عليهم بطلعتها المشرقة بنور الاستشهاد اجهشوا بالبكاء، وحفوا

بركبها، حتى إذا بلغت العاصمة مضى بها مسلمة الى داره، فأقامت بها قرابة عام لم تر خلالها إلا عابدة متبتلة.

ثم كانت نهاية المطاف، ماتت السيدة زينب عشية يوم الأحد، لأربع عشرة مضين من رجب، عام ٦٢ هـ، على أرجح الأقوال. وأغمضت العينان اللتان شهدتا مذبحة كربلاء وآن للجسد المتعب المضنى أن يستريح.

فمهدت لها الارض الطيبة مرقداً لينا في مخدعها، وحيث اختارت أن تكون ضجعتها الأخيرة.

وبقي قبرها مزاراً مباركاً يفد اليه المسلمون حتى يومنا هذا من كل فج عميق .. ».

وقالت الدكتورة بنت الشاطئ ايضاً في الصفحة «٧٦٨» من موسوعتها ما يلي:

« أجل، هي زينب التي دعلت من مصرع أخيها الشهيد مأساة خالدة، وصيرت من يوم مقتله ماتماً سنوياً للاحزان والآلام ».

٢ - وبهذه المناسبة نوجز كلمة عن المكان الذي قبرت فيه السيد زينب. إذ إن الخلاف بين المؤرخين في مكان قبرها كبير، فبعضهم أقر بوجوده في مصر بمحله الحالي المعروف، وآخرون قالوا: إنه في دمشق. وأفاد غيرهم: إنه في المدينة. وأنقل فيما يلي رأى العلامتين، السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني، والسيد محسن الأمين العاملي، حسماً للخلاف. سيما وانهما الحجتان في مثل هذه المواضيع في هذا القرن، واتبع ذلك بالمرويات عن النياحات الحسينية في مصر، منذ وطئت قدم السيدة زينب تلك البلاد.

٣ - جاء في الصفحة «٢٥٦» من الجزء «٦» من المجلد «٣» من مجلة « المرشد » البغدادية، بقلم العلامة الشهرساتي الحسيني، ما نصه: « واختلف المؤرخون في المكان الذي دفنت فيه السيدة زينب، والمشهور انها دفنت في قناطر

السباع بمصر ».

وجاء في كتاب «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» صفحة ٢٣٥ ما يلي: « وعلى اختلاف الروايات ان للسيدة زينب مقامين: أحدهما بدمشق، وهو مقصود من كل الجهات، خصوصا من أهل الشيعة. والثاني بمصر، وهو أشهر من الاول، ولها أوقاف وايراد زائد من ديوان عموم الأوقاف المصرية، ولها مسجد بمصر لم يوجد مثله ».

وقال صاحب دائرة المعارف البستاني، مجلد «٩» صفحة «٣٥٥».

« وللسيدة زينب، بنت علي بن أبي طالب، أخت الحسن والحسين، مزار في قناطر السباع بمصر، يزار ويتبرك به ».

كما أن السيد محسن الأمين العاملي ذكر ضمن مقال عن الشيعة الاسماعيلية، في الجزء «٣» من المجلد «١٦» من مجلة العرفان بأن « مزار القبر المنسوب الى السيدة زينب في دمشق هو قبر السيدة زينب الصغرى المكناة بأم كلثوم، بنت الامام علي عليها السلام. ويقع بقرية راوية، على بعد فرسخ من مدينة دمشق: » إنتها كلام العلامة الشهرستاني الحسيني.

٤ - أمّا العلامة السيد محسن الأمين العاملي فقد اشار الى هذا الموضوع في الجلد «٣٣» في الصفحة «٢١٨» من موسوعته « أعيان الشيعة » حيث قال:

« وهذا المشهد - أي مشهد زينب في مصر - مزار، معظم، مشيد البناء، بناؤه غاية الاتقان، فسيح الأرجاء دخلته وزرته في سفري الى الحجاز بطريق مصر، عام «١٣٤٠ هـ » ويعرف بمشهد السيدة زينب وأهل مصر يتوافدون لزيارته زرافات ووحدانا، وتلقى فيه الدروس وهم يعتقدون أن صاحبته زينب بنت علي بن أبي طالب، حتى إني رأيت كتاباً مطبوعاً بمصر لا أذكر اسمه الآن، ولا اسم مؤلفه وفيه: إن صاحبة هذا المشهد هي زينب بنت علي بن أبي طالب ... ».

وأنا أكتفي بهذا القدر من البحث عن قبر السيدة زينب، وأعود الى موضوع

الرسالة في المناحة على الامام الحسين في مصر منذ صدر الاسلام.

٥ - جاء في كتاب « الدلائل والمسائل » لمؤلفه السيد هبة الدين الحسيني الشهرستاني ما نصه:

« وتروي تواريخ الدولة العبيدية بمصر اهتمام الملك المعز الفاطمي بأمر أقامة عزاء الحسين في خارج البيوت أيضاً، فكانت النساء يخرجن في أيامه ليلاً، كما يخرج الرجال نهاراً ... ».

٦ - جاء في الصفحة «٦٦» في كتاب « دول الشيعة في التاريخ » لمؤلفه الشيخ محمد جواد مغنية، ما نصه:

« وعن خطط المقريزي: إن شعار الحزن يوم العاشر من المحرم كان أيام الأخشيديين، واتسع نطاقه في أيام الفاطميين، فكانت مصر في عهدهم بوقت البيع والشراء تعطل الاسواق، ويجتمع أهل النوح والنشيد يكونون بالازقة والاسواق، ويأتون الى مشهد أم كلثوم ونفيسة، وهم نائحون باكون. وقال السيد مير علي في مختصر تاريخ العرب: وكان من أفخم عمارة القاهرة في عهد الفاطميين: الحسينية، وهي بناء فسيح الارجاء، تقام فيه ذكرى مقتل الحسين في موقعة كربلاء، وأمعن الفاطميون في إحياء هذه الشعائر وما إليها من شعار الشيعة حتى أصبحت جزء من حياة الناس ... ».

٧ - ورد في الصفحة «١٥٩» من كتاب « اقناع اللائم » ما نصه:

« وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة [١] الخواص: إن أبا عبيد الله النحوي بمصر قال: كحل بعض العلماء عينيه يوم عاشوراء، فعوتب على ذلك فقال:

وقائل: لم كحلت عيناً ... يوم استباحوا دم الحسين

فقلت: كفوا، أحق شيء ... تلبس فيه السواد عيني

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٤٥.

٨ - ولم يكد يستولي صلاح الدين الأيوبي على مصر إلا وأخذ بالضغط على الشيعة فيها ومطاردتهم، ومنعهم عن إقامة شعائر الحزن والعزاء على الامام الحسين عليه السلام وقد تواترت أخبار المؤرخين في ذلك، واتفقت كلمتهم على ذلك وفيما يلي بعض مروياتهم:

٩ - جاء في كتاب « إقناع اللائم » صفحة «٣» نقلاً عن خطط المقريزي، في جزئه الثاني، صفحة «٣٨٥» ما عبارته:

« فإنه - أي المقريزي - بعد ما ذكر أن العلويين المصريين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم حزن، تعطل فيه الاسواق، قال: فلما دالت الدولة، اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور، يوسعون فيه على عيالهم، ويتبسطون في المطاعم، ويصنعون الحلاوات، ويتخذون الأواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام، جرياً على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في أيام عبد الملك بن مروان، ليرغوا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - الذين اتخذوا يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن على الحسين بن علي، لأنه قتل فيه ... ».

ثم قال: « وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو أيوب، من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط ... ».

١٠ - جاء في الجزء الأول القسم الأول من موسوعة « أعيان الشيعة » صفحة «٦١» ما نصه:

« وحبس صلاح الدين بقايا العلويين في مصر، وفرق بين الرجال والنساء حتى لا يتناسلوا، وذلك من الظلم الفاحش. وأعيد اتخاذ يوم قتل الحسين عيداً الذي كان قد سنه بني أمية والحجاج بالشام وغيرها، وأحدث جعله عيداً بمصر، ولم يكن معروفاً فيها بنص المقريزي ».

١١ - ورد في الصفحة «٩٢» من كتاب « الشيعة والحاكمون » لمؤلفه الشيخ محمد جواد مغنية، عند ذكره مطاردة صلاح الدين الايوبي للفاطميين والشيعة في

مصر قوله: « وحبس صلاح الدين بقايا العلويين في مصر، وفرق بين الرجال والنساء حتى لا يتناسلوا وأعاد يوم قتل الحسنين عيداً الذي قد سنه بني أمية والحجاج ... ».

١٢ - وبمناسبة ذكر المناحات على الامام الشهيد في مصر، وتأييدها حيناً ومنعها أحياناً، حسب رغبة الحكام فيها، لا أجد ضيراً من الاشارة الى المكان الذي قبر فيه رأس الامام الشهيد عليه السلام بعد نقله من كربلاء الى الكوفة، ثم الشام، ثم عسقلان والقاهرة، واختلاف المؤرخين والمحققين في المكان الذي دفن فيه في نهاية المطاف، ورأي الأكثرية منهم في انهم نقل على عهد الفاطميين من عسقلان الى القاهرة حيث وري التراب في محله الحالي في القاهرة.

وهنا أكتفي برأي السيد حسن الامين، المحقق المعاصر، الذي أيد هذا الأمر في مقال تحقيقي نشرته له مجلة « العربي » الصادرة في الكويت، بعددها «١٥٥» المؤرخ شعبان ١٣٩١ هـ حيث قال السيد الأمين ما نصه:

« لقد دفن سليمان بن عبد الملك الأموي الرأس في مقابر المسلمين، ولكن لا في دمشق بل في مدينة عسقلان بفلسطين لأنه حدس بأن سيكون لمدفن الرأس شأن يوماً ما فلم يشأ أن يكون هذا الشأن في دمشق، فأبعده الى عسقلان وفي العام «٥٤٨ هـ» نقل الفاطميون الرأس من مدفنه في عسقلان الى مكانه الحالي في القاهرة ... ».

وقد كتب السيد الامين هذا البحث رداً على ما نشرته مجلة « العربي » بأن سليمان بن عبد الملك دفن الرأس في دمشق بمقابر المسلمين، بعد نقله من مخازن الأسلحة فيها، التي خزن فيها يزيد الرأس.

* * *

الفصل الخامس عشر

اول من رثى الحسين عليه السلام بعد دفنه

تقول الروايات: إنه لم يكن يجسر أحد من الشعراء وغيرهم على المجاهرة برثاء الحسين عليه السلام والبكاء عليه مدة ملك بني أمية وسلطانتهم، عدا من شدّ ممّن كان يقول الأبيات المعدودة في الرثاء مجاهراً بها، وبما يبديه من حزن وجزع وبكاء على الامام الشهيد عليه السلام، وقد نقلت بعض الأبيات في رثائه التي قيلت على عهد بني أمية في أوائل ملك العباسيين.

ويستدل من هذه الابيات أن رثاء الامام عليه السلام والنياحة عليه في أوائل عهد العباسيين وفي أواخره تبارى شعراء الاسلام فيه. وكان في مقدمة هؤلاء الشعراء الشيعة الذين أكثروا في هذا الرثاء والنحيب، نظراً لما لا قوه من الحرية نتيجة ضعف العباسيين. ولقد اختلفت الروايات وتباينت الأخبار في أول من قام بزيارة قبر الحسين عليه السلام وقبور آله وأصحابه، ورثائه، والنوح عليه وعليهم، بعد أن تم دفن الاجساد من قبل أفراد من قبيلة بني أسد.

وقد تواترت هذه الروايات بأن أول هؤلاء الراثين والنائحين على القبر هو عبيد الله بن الحر الجعفي، لقرب موضعه من ساحة الشهداء. كما أن هناك رواية أخرى تقول: إن سليمان بن قتة كان أول من زار هذه القبور وناح عليها.

وفيما يلي نبذة من هذه الروايات التي إن دلت على شيء فانها تدل على شدة اهتمام شيعة علي عليه السلام بمصرع ابنه عليه السلام فور علمهم به:

١ - جاء في الصفحات «١٢٠ - ١٢١» من كتاب « الحسين في طريقه الى الشهادة » نقلاً عن « إرشاد » الشيخ المفيد ما نصه:

« ثم مضى الحسين عليه السلام حتى انتهى الى قصر بني مقاتل فنزل به، فاذا هو بفسطاط مضروب، فقال: لمن هذا الخباء؟ فقيل: لعبيد الله بن الحر الجعفي، قال: ادعوه إلي. فلما أتاه الرسول قال له: هذا الحسين بن علي يدعوك. فقال عبيد الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، والله ماخرجت من الكوفة إلا كراهية أن يدخلها الحسين وأنا بها. والله ما أريد أن أراه ولا يراني فأتاه الرسول فأخبره. فقام الحسين فجاء حتى دخل عليه، وسلم وجلس، ثم دعاه الى الخروج معه، فأعاد عليه عبيد الله بن الحر تلك المقالة واستقاله مما دعاه اليه. فقال له الحسين: فان لم تكن [١] تنصرنا فاتق أن تكون ممن يقاتلنا، فو الله لا يسمع واعيتنا أحد ثم لا ينصرنا إلا هلك. فقال: أما هذا فلا يكون أبداً إن شاء الله، ثم قام من عنده حتى دخل رحله ... » [٢].

٢ - وفي الصفحة «٦٥» من كتاب « مدينة الحسين » السلسلة الثانية المار الذكر ما نصه:

« إن أول من زار قبر الحسين عليه السلام بعد مصرع الحسين ودفن الأجساد، كما روي عن أبي مخنف، هو عبيد الله بن الحر الجعفي، الذي كان من شجعان العرب ومن شعرائهم الأفذاذ وكان من المحبين للامام علي عليه السلام وحضر معه معظم حروبه. وعندما سمع بقدوم الحسين خرج من الكوفة وأتى قصر بني مقاتل حتى نزله الحسين في طريقه الى كربلاء ... ».

وبعد أن يذكر الكاتب اجتماع الحسين بعبيد الله، وامتناع هذا عن نصرة الحسين يقول:

« فودع الحسين عبيد الله بن الحر، ثم سار الحسين الى كربلاء وترك عبيد الله

---

(١) ليس في المصدر.

(٢) ارشاد المفيد ٢: ٨١.

في فسطاطه، وبد رحيل الحسين أتى منزله على شاطئ الفرات فنزله. ولما كان مقتل الحسين جاء الى كربلاء ووقف على أجداث الشهداء، وبكى بكاء شديدا، واستعبر، ورثى الحسين وأصحابه الذين قتلوا معه بعد أن جرى ما جرى بينه وبين ابن زياد، ووقف باكياً متأوهاً، منشداً قصيدة طويلة في رثاء الامام وندمه لعدم اشتراكه في القتال. وهذه الابيات من تلك القصيدة:

يقول أمير غادر وابن غادر ... ألا كنت قابلت الشهيد بن فاطمه
ونفسي على خذلانه واعتزاله ... وبيعة هذا الناكث العهد لائمه
فيا ندمي أن لا أكون نصرته ... ألا كل نفس لا تسدد نادمه
ويا ندمي أن لم أكن من حماته ... لذو حسرة ما إن تفارق لازمه
سقى الله أرواح الذين تآزروا ... على نصره سقياً من الغيث دائمه
وقفت على أجداثهم ومجالهم ... فكاد الحشى ينفض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا مصاليت في الوغى ... سراعاً الى الهيجا حماة خضارمه
تآسوا على نصر ابن بنت نبيهم ... بأسيافهم آسا دغيل ضراغمه
فان تقتلوا فكل نفس تقية ... على الارض قد اضحت لذلك واجمه
وما إن رأى الراؤون أفضل منهم ... لدى الموت سادات وزهراً قماقمه
أتقتلهم ظلماً وترجوا ودادنا ... فدع خطة ليست لنا بملائمه
لعمري لقد راغمتمونا تقتلم ... فكم ناقم منا عليكم وناقمه
أهم مراراً أن أسير بجحفل ... الى فئة زاغت عن الحق ظالمه
فكفوا وإلا زرتكم في كتائب ... أشد عليكم من رصوف الديالمه [1]

٣ - جاء في الصفحتين « ٢٣٧ - ٢٣٨ » من تاريخ « الكامل » لابن الأثير المجلد الرابع وكذا في تاريخ « الرسل والملوك » حول حادث الجعفي ما نصه:

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام، لابي مخنف: ٢٤٥.

« لما مات معاوية، وقتل الحسين بن علي، لم يكن عبيد الله بن الحر الجعفي من حضر قتله، وتغيب عن ذلك تعمداً. فلما قتل الحسين جعل ابن زياد يتفقد الاشراف من أهل الكوفة فلم ير عبيد الله بن الحر ثم جاءه بعد أيام حتى دخل عليه، فقال له: أين كنت يا ابن الحر؟ قال: كنت مريضاً، قال: مريض القلب، أم مريض البدن؟ فقال: أمّا قلبي فلم يمرض، وأما بدني فقد من الله عليّ بالعافية، فقال ابن زياد: كذبت، ولكنك كنت مع عدونا. فقال: لو كنت معه لرأى مكاني. وغفل عنه ابن زياد فخرج، فركب فرسه، ثم طلبه ابن زياد فقالوا: ركب الساعة. فقال: عليّ به. فاحضر الشرطة خلفه. فقالوا: أجب الأمير. فقال: أبلغوه عني أني لاآتيه طائعاً أبداً.

ثم أجرى فرسه وأتى منزل أحمد بن زياد الطائي، فاجتمع اليه اصحابه. ثم خرج حتى أتى كربلاء، فنظر الى مصارع الحسين ومن قتل معه فاستغفر لهم، ثم مضى الى المدائن. وكان عبيد الله قد قال في هؤلاء الصرعى قصيدة:

« يقول امر غادر وابن غادر ... » الى آخر القصيدة.

وأقام ابن الحر بمنزله على شاطئ الفرات الى أن مات يزيد ... ».

٤ - ذكر كتاب « الحسين في طريقه الى الشهادة » وكذا العلامة العاملي في أعيانه، وسبط ابن الجوزي عن السدي في تذكرته، وكذا المفيد بسنده عن إبراهيم بن داحة ما نصه:

« إن عقبة بن عمر العبسي أو السهمي وهو من بني سهم بن عون بن غالبة كان أول من ناح الحسين وزار قبره، ورثاه بقصيدة ندرج بعض أبياتها تالياً وذلك في أواخر المائة الأولى من الهجرة. والأبيات هي:

مررت على قبر الحسين بكربلاء ... ويسعد عيني دمعها وزفيرها

وناديت من بعد الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيه قتورها

إذا العين قرت في الحياة وأنتم ... تخافون في الدنيا فأظلم نورها

سـلام علـى أهـل القبـور بكـربلاء وقـل لهـا منـي سـلام يزورهـا
سـلام بآصـال العشـاء وبالضـحى تؤديـه نكبـاء الريـاح ومورهـا
ولا بـرح الوفـاد زوار قـبره يفـوح عليـهم مسـكها وعبيرهـا [1]

٥ - جاء في المجلد «٢٥» من موسوعة « أعيان الشيعة » صفحة «٣٦٥» ما نصه:

« وقيل: إن سليمان بن قتة العدوي التيمي مر بكربلاء فنظر الى مصارع الشهداء فبكى حتى كاد أن يموت، ثم قال هذه الأبيات. وكان مروره بكربلاء بعد قتل الحسين بثلاثة أيام، فنظر الى مصارع الشهداء، واتكأ على فرس له عربية وأنشد. وهو المتوفى سنة ١٢٦ في دمشق. والأبيات هي:

الى أن يقول:

وإن قتيـل الطـف مـن آل هاشـم أذل رقـاب المسـلمين فـذلت
وقـد أعولـت تبكـي السـماء لفقـده وأنجمهـا ناحـت عليـه وصـلت[2]

وسليمان هذا هو مولى بني تيم بن مرة، وانه كان منقطعاً الى بني هاشم:

وجاء في الصفحة نفسها من الأعيان لسليمان هذه الأبيات:

عـين جـودي بعـبرة وعويـل وانـدبي إن نـدبت آل الرسـول
تسـعة كلهـم لصـلب علـي قـد أصـيبوا وسـبعة لعقيـل
وإنـدبي إن بكيـت عونـاً اخـاهم لـيس فيمـا ينـوبهم بخـذول
وسمـي النـبي غـودر فـيهم قـد علـوه بصـارم مصـقول

---

(١) الامالي للشيخ المفيد ٣٢٤ مع تقديم وتأخير في الشعر، تذكرة الخواص: ٢٤٢.

(٢) المجالس السنية ١: ٤٢.

وانـــــدبي كلهـــــم فلـــــيس إذا مـــــا عـــــد في الخـــــبر كهلهـــــم كـــــالكهول
فلعمـــــري لقـــــد أصـــــيب ذوو القـــــربى فـــــابكى علـــــى المصـــــاب الجليـــــل
فـــــاذا مـــــا بكيـــــت عيـــــني فجـــــودي بـــــدموع تســـــيل كـــــل مســـــيل

٦ - جاء في كتاب « مجالس المؤمنين » ما يلي:

« إن المختار بن عبيد الله الثقفي بعد رجوعه من الحج أتى وسلم على القبر، وقبل موضعه، وأخذ بالبكاء وقال: يا سيدي، قسماً بجدك وأبيك وأمك الزهراء، وبحق شيعتك وأهل بيتك. قسماً بهؤلاء جميعاً، أن لا أذوق طعاماً طيباً أبداً حتى انتقم من قتلتك .. ».

٧ - في الصفحة «١٥٢» من كتاب « نهضة الحسين » نقلاً عن « المجالس السنية » [1] ما نصه:

« ومر ابن الهبارية الشاعر بعد سليمان بن قتة العدوي بكربلا، فجلس على الحسين وأهله، وقال بديهاً:

أحســـــين والمبعـــــوث جـــــدك بالهـــــدى قســـــماً يكـــــون الحـــــق عنـــــه مســـــائلي
لـــــو كنـــــت شـــــاهد كـــــربلاء لبـــــذلت في تنفـــــيس كربـــــك جهـــــد بـــــذل البـــــاذل
وســـقيت حـــد الســـيف مـــن أعـــدائكم علـــــلاً وحـــــد الســـــمهري الـــــذابل
لكنـــــني أخـــــرت عنـــــك لشـــــقوتي فبلابلـــــي بـــــين الغـــــري وبابـــــل
هبـــني حرمـــت النصـــر مـــن أعـــدائكم فأقـــل مـــن حـــزن ودمـــع ســـائل

ويقال: إنه نام فرأى النبي فقال له: جزاك الله عني خيراً، أبشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين ».

٨ - جاء في الصفحة «١٥٣» من « إقناع اللائم » ما عبارته:

« وعن المرزباني: أنه دخل أبو الرجح الخزاعي الى فاطمة بنت الحسين،

---

(١) المجالس السنية ١: ٤٢.

فأنشد مرثية في الحسين منها:

أجالت على عيني سحائب عبرة فلم تصح بعد الدمع حتى ارمعلت
تبكي على آل النبي محمد وما أكثرت في الدمع لا بل أقلت
أولئك قوم لم يشجوا سيوفهم وقد نكأت أعداؤهم حين سلت
وإن قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاباً من قريش فذلت

فقالت فاطمة: يا أبا الرجح هكذا تقول. قال: فكيف أقول، جعلني الله فداك؟ قالت: قل: أذل رقاب المسلمين فذلت. فقال: لا أنشدها بعد اليوم إلا هكذا ... ».

* * *

الفصل السادس عشر

موقف الأمويين من النياحة على الحسين عليه السلام

لقد بذل الأمويون ولا سيما ملوكهم وأمراؤهم بعد يزيد، جهدهم لعزل ذكر الحسين عن ذهنية المسلمين. وذلك بفصل الناس عن زيارة قبره الطاهره ومنعهم عن إقامة العزاء والنوح عليه، بكل ما عرفوه من الوسائل السرية والعلنية. وكان الأمويون لا يتورعون عن اتخاذ أية وسيلة إرهابية في منع الناس عن مراودة القبر الشريف بكربلاء، وإقامة المآتم والمناحات على الحسين عليه السلام وصحبه وآله سراً وعلناً، في جميع الأقطار الاسلامية التي كانت سيطرتهم عليها نافذة، فكانوا قد أحاطوا البقعة التي ضمن جثمان الشهيد في كربلاء بحراسة شديدة ومراقبة واعية، منعاً من وفود الزوار عليها وإقامة المناحات حولها. حتى أن كثيراً من الوافدين لقوا حتفهم فور وقوعهم في شباك تلك الحراسة، وكان قد اشتد هذا المنع في أوائل عصر الامام الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام على عهد هشام بن عبد الملك. وذلك على أثر خروج زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام في الكوفة ومقتله فيها سنة «١٢١ هـ» فصار جلاوزة هشام يشددون المنع، ويمثلون بمن يقع بأيدي المسالح من الزوار.

وروى التاريخ حوادث كثيرة في ذلك، منها:

١ - جاء في الصفحة «٩٥» من كتاب « إقناع اللائم » ما نصه:

« روى ابن قولويه في الكامل بسنده عن مسمع كردين قال: قال لي أبو

عبد الله: يا مسمع، أنت من أهل العراق، أم تأتي قبر الحسين؟ قلت: لا، أنا رجل مشهور من أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرقبوا حالي عند ولد سليمان فيميلوا عليّ. قال: أفما تذكر ما صنع به؟ قلت: بلى. قال: فتجزع؟ قلت: إي والله أستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليّ، فأمتنع عن الطعام حتى يستبين ذلك في وجههي. قال: رحم الله دمعتك أما انك من الذين يعدون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويأمنون إذا أمنا ... ».

الى أن يقول مسمع: « ثم استعبر واستعبرت معه، فقال: الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة، وخصنا أهل البيت بالرحمة يا مسمع، إن الارض والسماء تبكي منذ قتل أمير المؤمنين، رحمة لنا وما بكى لنا من الملائكة أكثر، وما رقأت دموع الملائكة منذ قتلنا، وما بكى أحد رحمة لنا، وما لقينا إلا ﷺ قبل أن تخرج الدمعة من عينه ... » [1].

أقول: أما سليمان، فهو سليمان بن عبد الله بن العباس الذي كان أمير البصرة.

٢ - جاء في مقال للشيخ باقر شريف القرشي نشر في العددين ٣ - ٤ من نشرة « أجوبة المسائل الدينية » المنشورة في كربلاء ما عبارته: « نشأ الامام زيد، ولكنه لم يفتح عينه إلا على نفوس قد أذابها الحزن وأفناها الألم، ولا يسمع إلا البكاء والعويل والنادبات من عماته، يندبن سيد الشهداء، ويعدون رزاياه وما حل به من فادح الخطب وفاجع الرزء، ويشاهد أباه زين العابدين وقد نخر الحزن قبله، وهو يواصل أوقاته بالبكاء والحزن على أبيه. قد انهكت العبادة جسمه حتى صار كأنه صورة جثمان ».

أقول: كانت هذه حالة شيعة آل علي عليهم السلام على عهد بني أمية، الذين لم يألوا

---

(١) كامل الزيارات: ١٠١.

جهداً في إيذاء أهل البيت وأصحابهم ومواليهم، مقاومة من ينوح على الحسين عليه السلام ويزور قبره بأشد العقوبت.

٣ - وهذا البيت لأحد الشعراء على عهد الامويين، من قصيدة له في رثاء الامام الشهيد، يدل على ما كان يلاقيه الموالون لآل علي وأولاده عليهم سلام:

تجاوبت الدنيا عليك مأتماً نواعيك فيها للقيامة تهتف

فكان عقاب هذا الشاعر التعذيب والموت على يد حكام آل أبي سفيان.

* * *

الفصل السابع عشر

التوابون ينوحون الحسين عليه السلام ويثورون على الأمويين

وما دخلت سنة «٦٥» هـ حتى تفاقمت حركة التوابين في الكوفة، فأخذوا يطالبون بدم الحسين عليه السلام ، وينادون بنداء « يا لثارات الحسين » ولم يكتموا أمرهم ولا عمدوا الى الخفاء وصاروا يشترون السلاح، ويتجهزون من كل جانب، طالبين التوبة مما بدر منهم بشأن عدم تلبية نداء الحسين عليه السلام لهم يوم عاشوراء، وصار عمال بني أمية في الكوفة يشاهدونهم بسلاحهم منطلقين، ساعين نحو قبر الحسين بكربلاء، لإقامة المآتم والمناحات على قبر الحسين عليه السلام ولا يستطيعون اتخاذ أي إجراء ضدهم. وعندما بلغ هؤلاء التوابون في بعض انطلاقاتهم قبر الحسين عليه السلام صاحوا صيحة واحدة بالعويل والبكاء، وأقاموا عنده يوماً وليلة يبكون ويتضرعون، قائلين: « اللهم ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد. اللهم إنا نشهدك أنا على دينهم وسبيلهم وأعداء قاتليهم وأولياء محبيهم. اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبينا فاغفر لنا ما مضى منا وتب علينا، وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ».

ولقد وصفت كتب التاريخ هذا الحادث على الوجه التالي:

١ - جاء في الصفحة «٧٠» من كتاب « مدينة الحسين » السلسلة الثانية المار ذكره ما نصه:

« وقد جمع سليمان - يعني سليمان بن صرد الخزاعي أصحابه وجماعة وساروا الى النخيلة وعسكروا بها، وكان ذلك في غرة ربيع الثاني، سنة «٦٥» هـ ثم رحلوا

عنها بعد أن أقاموا فيها ثلاثة ايام يستكملون قواهم حتى بلغت أربعة آلاف مقاتل، ثم ساروا حتى أتوا أقساس بني مالك على شاطئ الفرات، ثم أصبحوا عند قبر الحسين في كربلاء وذلك في العقد الأول من ربيع الثاني سنة «٦٥» هـ فلما وصلوا موضع القبر صاحوا صيحة واحدة، وضجوا بالبكاء والعويل، فلم ير يوماً أكثر بكاء حول قبر الحسين من ذلك اليوم. وقد خطب فيهم خطباء كثيرون ».

ثم يستطرد الكاتب فيقول: « وازدحموا على لثم القبر كازدحام الحجاج على لثم الحجر الاسود في الكعبة، ثم ودعوا القبر ورحلوا عنه. وبقي سليمان بن صرد مع ثلاثين نفراً من أصحابه عند القبر ... ».

ويواصل الكاتب كلامه فيقول:

« ثم قام من بينهم وهب بن زمعة الجعفي وهو يبكي عند القبر الشريف، أنشد أبياتاً من قصيدة عبيد الله بن الحر الجعفي:

تبيت النشاوى من أمية نوماً ... وبألطف قتلى ما ينام حميمها
وما ضيع الاسلام إلا قبيلة ... تآمر نوكاها وادام نعيمها
وأضحت قناة الدين في كف ظالم ... إذا اعوج منها جانب لا يقيمها
فأقسمت لا تنفك نفسي حزينة ... وعيني تبكي لا يخف سجومها
حياتي أوتلقى أمية خزية ... يذل لها حتى الممات قرومها

ثم ساروا عن كربلاء بعد أن باتوا ليلتهم.

أقول: أما العلامة السيد محسن الأمين العاملي فقد ذكر جميع القصيدة ونسبها الى وهب بن زمعة في الصفحة «١٦٩» من المجلد «٤» القسم الرابع من « أعيان الشيعة » وهذه هي:

عجبت وأيام الزمان عجائب ... ويظهر بين المعجبات عظيمها
تبيت النشاوى من أمية نوما ... وبالطف قتلى ماينام حميمها
وتضحى كرام من ذوابة هاشم ... يحكّم فيها كيف شاء لئيمها

وربـــات صـــون ماتبـــدت لعينهـــا قبيـــل الصـــبا إلا لوقـــت نجومهـــا
تزاولهـــا أيـــدي الهـــوان كأنمـــا تقحـــم مـــا لا عفـــو فيـــه أثيمهـــا
ومـــا أفســـد الاســـلام إلا عصـــابة تـــآمر نوكاهـــا ودام نعيمهـــا
وصـــارت قنـــاة الـــدين في كـــف ظـــالم أذا مـــال منهـــا جانـــب لا يقيمهـــا
وخـــاض بهـــا طخيـــاء لا يهتـــدى لهـــا ســـبيل ولا يرجـــو الهـــدى مـــن يعومهـــا
الى حيـــث القاهـــا ببيـــداء مجهـــل تضـــل لأهـــل الحلـــم فيهـــا حلومهـــا
رمتهـــا لأهـــل الطـــف منهـــا عصـــابة حـــداها الى هـــدم المكـــارم لومهـــا
فشـــقّت بهـــا شـــعواء في خـــير قتيـــة تخلـــت لكســـب المكرمـــات همومهـــا
أولئـــــك آل الله آل محمـــــد كـــرام تحـــدت ماحـــداها كريمهـــا
يخوضـــون تيـــار المنايـــا ظـــوا ميـــا كمـــا خـــاض في عـــذب المـــوارد هيمهـــا
يقـــوم بهـــم للمجـــد أبـــيض ماجـــد أخـــو عزمـــات أقعـــدت مـــن يرومهـــا
فأقســـمت لا تنفـــك نفســـي جزوعـــة وعيـــني ســـفوحاً لا يمـــل ســـجومها
حيـــاتي أو تلقـــى أميـــة وقعـــة يـــذل لهـــا حـــتى الممـــات قرومهـــا

ووهب بن زمعة هو أبو دعبل الجحمي، المعاصر لمعاوية وابنه يزيد.

٢ - جاء في الصفحة «٧٦٤» من « موسوعة آل النبي » مختصراً عن الطبري [١] وابن الأثير عن نهضة التوابين وقيامهم ضد الأمويين ما عبارته:

« وما دخلت سنة «٦٥ هـ» حتى كانت صيحة التوابين: (يا لثارت الحسين عليه السلام) تزلزل الأرض تحت بني أمية، وحتى كانت الكوفة تشهدهم في سلاحهم ينطلقون ساعين نحو قبر الحسين وهم يتلون الآية: (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ) [البقرة: ٥٤] فلما بلغوا القبر صاحوا صيحة واحدة، فما رئي أكثر باكياً من ذلك اليوم، وأقاموا عنده يوماً وليلة

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٥١ احداث سنة خمس وستين.

يتضرعون ... ».

وتستطرد الكاتبة فتقول: « وغادروا القبر وقد ازدادوا ندماً وحماسة، فاندفعوا كالموج مستبسلين يلقون الالوف المؤلفة من جند بني أمية وأقصى أمانيهم أن يقتلوا في ثار الحسين ».

وتواصل الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن الشهيرة ببنت الشاطئ كلامها في الصفحة «٧٦٥» من مسوعتها عند ذكر مناحات التوابين، وتعرج على إثارة السيدة زينب النفوس وإلهابها في الأخذ بثأرالحسين من بني أمية، وتقول:

« وكانت السيد زينب هي التي جعلت من مصرع الحسين مأساة خالدة لاتعرف ما هو أبعد أثراً في تطور العقيدة عند الشيعة، وصيرت من يوم مقتله مأتماً سنوياً للأحزان والآلام.

وكانت زينب هي التي صيرت من ليلة العاشر من المحرم مأتماً سنوياً للأحزان والآلام يحج فيه أحفاد التوابين الى المشهد المقدس في كربلاء، حيث يعيدون تمثيل المأسات، ويفرضون على أنفسهم أقسى أنواع العذاب الجسدي، تكفيراً عن خطيئة آبائهم وأجدادهم الذين قتلوا الحسين وآله وصحبه، وبقى شعار التوابين الى أن انقرضوا ».

وتستطرد هذه الدكتورة فتقول:

« وما أحسب أن التاريخ قد عرف حزناً كهذا طال مداه حتى استمر بضعة عشر قرناً دون أن يفتر، فمراثي شهداء كربلاء هي الأناشيد التي يترنم بها الشيعة في عيد حزنهم يوم عاشوراء في كل عام، ويتحدون الزمن أن يغيبها في متاهة النسيان .. ».

ثم تستأنف الكلام وتقول:

« وكذلك كانت زينب عقيلة بني هاشم في تاريخ الاسلام وتاريخ الانسانية بطلة استطاعت أن تثأر لأخيها الشهيد، وأن تسلط معاول الهدم على دولة بني

أمية، وأن تغير مجرى التاريخ ... ».

٣ - جاء في الصفحة «٩٩» من كتاب « المجالس الحسينية » السالف ذكره مانصه:

« وقد ندم التوابون بعد قتل الحسين على تركهم نصرته فنهضوا، وثاروا، وقتلوا. ولكن عملوا بعد قتل الحسين، ولا عمل بعد قتله إلا الحسرة والتلهف. قال شاعرهم عبيد الله بن الحر:

فيا لك حسرة ما دمت حيا تردد بين حلقي والتراقي
فلو علق التلهف قلب حيٍّ لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد جاء الأولى نصروا حسيناً وخاب الآخرون الى النفاق

٤ - جاء في الصفحة «١٩٠» من المجلد الأول، قسم كربلاء من « موسوعة العتبات المقدسة » نقلاً عن المستشرق « رينولد نطلس » في كتاب (تاريخ العرب الأدبي) عند ذكر فاجعة كربلاء ما نصه:

« وخلال بضع سنوات من مصرع الحسين عليه السلام أصبح ضريحه في كربلاء محجاً تشد اليه رحال الشيعة، وعند ما ثار التوابون سنة ٦٧٤ م - ٦٥ هـ قصدوها ورفعوا عقائرهم منتحبين بصوت واحد، وبكوا وتضرعوا الى الله ان يغفر لهم لتنكرهم لسبط الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ساعة شدته وضيقه، وصاح زعيمهم: ربّ ارحم الحسين، الشهيد ابن الشهيد، المهدي ابن المهدي، الصديق ابن الصديق: ربّ اشهد أننا اتباع دينهم وسبيلهم، وأننا أعداء قاتليهم وأحباء محبيهم .. ».

أجل هاهنا تكمن نواة التعازي والمشاهد الدينية التي تمثل كل سنة في العاشر من محرم حيثما وجد الشيعة.

٥ - جاء في الصفحة «٣٧٥» من الجزء «٨» من المجلد الرابع من مجلة « المرشد » البغدادية، عند البحث عن مدينتي الأنبار والمسيب في العراق ومنشئيهما، ثم الكلام عن التوابين، يقول الكاتب السيد علي نقي النقوي الكهنوري

ما نصه:

« إن الذي نعهده من التاريخ أن أولئك الثائرين - أي التوابين - لم يزالوا في الكوفة من أول بيعتهم لسليمان حتى خرجوا منها في المحرم سنة «٦٥ هـ»، فكان معسكرهم عندئذ النخيلة، وهناك كانت تنظم الثوار، ويهيئون العدة والعتاد. وارتحلوا منها، فاتفقت كلمتهم على زيارة أبي عبد الله الحسين في الطف، فحضروا هناك، وباتوا ليلتهم، باكين، متضرعين، صارخين بالاستغفار والإنابة الى الله تعالى. وفي صباح الغد ساروا منها متوجهين الى ارض الشام ... ».

* * *

الفصل الثامن عشر

بكاء الائمة على الحسين عليه السلام

أما حزن الائمة عليهم السلام من أولاد الحسين عليه السلام وذريته وسائر العلويين، ونياحتهم عليه في سرهم وعلنهم، وفي محافلهم الرسمية ومجالسهم الخاصة، وفي دورهم وأنديتهم ودواوينهم، فحدث عنها ولا حرج، حيث أنها لم تنقطع، بل استمرت استمرار حياتهم.

ولقد تحدثت الروايات وتناقلت الاسفار والكتب ذلك بوفرة وكثرة. منها: ما ذكرته عن بكاء وحزن الامام الرابع علي بن الحسين زين العابدين وسيد الساجدين مدة أربعين سنة عاشها بعد استشهاد والده المظلوم، وبكاء الامام الصادق عليه السلام لمصيبة جده الشهيد واستنشاده الشعر في رثائه، وكذا الامام الكاظم عليه السلام الذي كان لا يرى ضاحكاً إذا أقبل شهر محرم الحرام، وكان يرى كئيباً حزيناً في العشرة أيام الأولى من هذا الشهر، وهكذا الامام الرضا عليه السلام وغيرهم من الأئمة.

وها إني أنقل تالياً ما روي عن حزن الأئمة ونياحهم وبكائهم على جدهم الحسين الشهيد عليه السلام، وحثهم اسرهم وشيعتهم المفجوعين بإحياء هذه الذكرى الأليمة والمأساة العظمى باستشهاد الامام الحسين وصحبه الميامين يوم العاشر من محرم سنة «٦١ هـ»:

قال السيد محسن الأمين العاملي في الصفحة «٩٣» من تأليفه « إقناع اللائم »

عند بحثه عن نياحة الأئمة عليهم السلام على جدهم الشهيد ما نصه:

« اما انهم - اي الائمة - بكوا على الحسين، وعدوا مصيبته أعظم المصائب وأمروا شيعتهم ومواليهم وأتباعهم بذلك، وحثوا عليه، واستنشدوا الشعر في رثائه، وبكوا عند سماعه، وجعلوا يوم قتله يوم حزن وبكاء، وذموا من اتخذه عيداً وأمروا بترك السعي في في الحوائج، وعدم ادخار شيء فيه. فالاخبار فيه مستفيضة عنهم، تكاد تبلغ حد التواتر، رواها عنهم ثقات شيعتهم ومحبيهم بأسانيدها المتصلة اليهم .. ».

أ - حزن الامام الرابع زين العابدين عليه السلام

وقد شهد الامام علي بن الحسين عليه السلام زين العابدين وسيد الساجدين مصرع أبيه وأخوته وبني عمه وأصحاب أبيه وغيرهم وتجرع الغصص والغم والألم من هذه المشاهد المفجعة. ثم قاسى مرارة الأسر ولم تنقطع عبرته على ذلك ما دام حياً.

١ - جاء في الصفحة «٨٢» من كتاب « زين العابدين » تأليف عبد العزيز سيد الأهل ما عبارته عند ذكر ورع الامام:

« بل كان علي كلما جاء وقت الطعام وفتحت مصاريع الأبواب للناس ووضع طعامه بين يديه دمعت عيناه. فقال له أحد مواليه ذات مرة: ياابن رسول الله، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له زين العابدين: ويحك إن يعقوب عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحداً منهم فابيضت عيناه من الحزن، وكان ابنه يوسف حياً في الدنيا. وأنا نظرت الى أبي، وأخي وعمي، وسبعة عشر من أهل بيتي، وقوماً من أنصار أبي مصرعين حولي، فكيف ينقضي حزني؟ .. ».

أقول: وقد نقل هذا الحديث كل من العاملي في « أعيان الشيعة » وابن شهر

آشوب في بعض مؤلفاته [1].

٢ - روى ابن قولويه في « الكامل » بسنده قال:

« أشرف مولى لعلي بن الحسين وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال له: يا علي بن الحسين، أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فرفع رأسه اليه. فقال: ويلك - أو ثكلتك أمك - أما والله لقد شكا يعقوب الى ربه في أقل مما رأيت، حتى قال: يا أسفى على يوسف. وانه فقد ابناً واحداً وأنا رأيت ابي وجماعة من أهل بيتي يذبحون حولي » [2].

ولقد نقل هذه الروايات وأمثالها عن الامام زين العابدين كثير من كتب الحديث وغيرها مع تغيير طفيف في العبارة.

٣ - وروي ايضاً كما في « أعيان الشيعة »: إن الامام علي بن الحسين بكى حتى خيف على عينيه. وكان إذا أخذ ماء بكى حتى يملأه دمعاً. فقيل له في ذلك، فقال: كيف لا أبكي وقد منع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش؟ وقيل له: إنك لتبكي دهرك، فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا. فقال: نفسي قتلتها وعليها ابكي.

٤ - نقل كتاب « إقناع اللائم » [3] رواية عن ابن قولويه في كامله بسند معتبر عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام انه قال: « ما اختضبت منا امرأة، ولا ادهنت، ولا اكتحلت، ولا رجلت حتى أتانا رأس عبيد الله بن زياد. وما زلنا في عبرة بعده. وكان جدي علي بن الحسين عليه السلام إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه، وإن الملائكة الذين عند قبره ليبكون فيبكي لبكائهم كل من في الهواء والسماء من الملائكة ...

---

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٦٦.

(٢) كامل الزيارات: ١٠٧.

(٣) اقناع اللائم: ٩٨.

الى ان قال عليه السلام: وما من عين أحب الى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه وما من باك يبكيه الا وقد وصل فاطمة وأسعدها عليه، ووصل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأدى حقنا. وما من عبد يحشر الا وعيناه باكية الا الباكي على جدي، فانه يحشر وعينه قريرة، والبشارة تلقاه والسرور بيّن على وجهه »[1].

٥ - وفي « إقناع اللائم » [2] أيضاً برواية عن ابن شهر آشوب في مناقبه عن الامام الصادق عليه السلام إنه قال:

« عاش [3] علي بن الحسين أربعين [4] سنة وما وضع طعام بين يديه إلا وبكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك، يا ابن رسول الله، إني أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة » [5].

٦ - جاء في الجزء «١: ١٥٥» من كتاب « المجالس السنية » ما عبارته:

« وعن الصادق عليه السلام إنه بكى على أبيه الحسين أربعين سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله، فاذا حضره الافطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول: كل يا مولاي [6] فيقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرر ذلك ويبكي حتى يبل طعامه من دموعه، ثم يمزج شرابه بدموعه. فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل ».

٧ - جاء في الجزء «١ - ١٥٥» من الكتاب نفسه ما لفظه:

« قال الصادق عليه السلام: البكاؤون خمسة: آدم، ويعقوب، ويوسف، وفاطمة بنت

---

(١) كامل الزيارات: ٨١.

(٢) اقناع اللائم: ٩٤.

(٣) في المصدر (بكى).

(٤) في المصدر (عشرين).

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٦٥.

(٦) ليس في المصدر « كل يا مولاي ».

محمد، وعلي بن الحسين - الى أن يقول عليه السلام -: وأما علي بن الحسين عليهما السلام فبكى على أبيه الحسين أربعين سنة. وما وضع طعام بين يديه إلا بكى حتى قال له مولى له: جعلت فداك، يا ابن رسول الله، إني أخاف عليك أن تكون من الهالكين. قال: (إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (يوسف: ٨٦) إني لم أذكر مصرع ابن فاطمة إلا خنقتني العبرة ».

٨ - وجاء في الجزء «١: ١٥٦» من نفس الكتاب ما عبارته:

« روي انه كان إذا حضر الطعام لإفطاره ذكر قتلاه وقال: واكرباه [١]، يكرر ذلك. ويقول: قتل ابن رسول الله خائفاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، حتى يبل بالدموع ثيابه.

وحدّث مولى له، أنه مر [٢] يوماً الى الصحراء قال: فتعقبته [٣] فوجدته قد سجد على حجارة خشنة. وقفت وأنا أسمع شهيقه وبكاءه وأحصيت عليه ألف مرة وهو يقول: لا إله إلا الله حقاً حقاً. لا إله إلا الله تعبداً ورقاً. لا إله إلا الله إيماناً وتصديقا. ثم رفع رأسه من سجوده وإذا لحيته ووجهه قد غمرا بالماء من دموع عينه [٤]. فقلت: يا سيدي، أما آن لحزنك أن ينقضي، ولبكائك أن يقل؟ فقال لي: ويحك .. » الى آخر القصة التي مر ذكرها.

٩ - جاء في الصفحة «٢٤٩» من موسوعة « أعيان الشيعة » المجلد «٤» القسم الأول، عند ذكر شعر الامام زين العابدين هذه الابيات:

نحن بنو المصطفى ذوو غصص يجرعها في الأنام كاظمنا
عظيمة في الأنام محنتنا أولنا مبتلى وآخرنا

---

(١) في المصدر (واكربلاه).
(٢) في المصدر (برز).
(٣) في المصدر (فتبعته).
(٤) في المصدر (عينيه).

يفـــرح هـــذا الـــورى بعيـــدهم ونحـــــن أعيادنـــــا مآتمنـــــا
والنـــاس في الامـــن والســـرور ومـــا يـــأمن طـــول الزمـــان خائفنـــا
ومـــا خصصـــنا بـــه مـــن الشـــرف الطـــا ئـــل بـــين الانـــام آفتنـــا
يحكـــم فينـــا والحكـــم فيـــه لنـــا جاحـــدنا حقنـــا وغاصـــبنا

١٠ - وفي الصفحة «١٠٧» من كتاب «أقناع اللائم» ماعبارته:

« روي عن علي بن ابراهيم في « تفسيره »[١]، وابن قولويه في «الكامل»[٢]، والصدوق في «ثواب الاعمال»[٣] باسانيدهم: ان الامام الخامس الناقر عليه السلام قال: كان علي بن الحسين يقول: «أيما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي عليهما السلام دمعة حتى تسيل على خده [٤] لأذى مسنا من عدونا في الدنيا بواه الله مبوا صدق في الجنة ».

١١- وروي في «الكامل» بسنده عن أبي جعفر الصادق عليه السلام قال: « كان علي بن الحسين يقول: من ذكر الحسين عنده فخرج من عينه من الدمع مقدار جناح ذباب كان ثوابه على الله عز وجل ولم يرض له بدون الجنة »[٥].

١٢- جاء في الصفحة «٦٤٥» من «موسوعة آل النبي» عند ذكر اسم الامام زين العابدين في سلسلة أسماء البكائين ما نصه:

« ويضاف اسمه - أي اسم زين العابدين - الى أسماء البكائين فيقال: وبكى زين العابدين أباه الحسين ... ».

---

(١) تفسير علي بن ابراهيم ٢: ٢٩١.

(٢) كامل الزيارات لابن قولويه: ١٠٠.

(٣) ثواب الاعمال للصدوق: ٨٣.

(٤) في التفسير زيادة (بواه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا، وأيما مؤمن دمعت عيناه دمعا حتى تسيل على خده لأذى ...).

(٥) كامل الزيارات: ١٠٠.

ب - بكاء الامام الخامس محمد الباقر عليه السلام.

أما الامام الخامس محمد بن علي بن الحسين عليه السلام الباقر فقد شحت الروايات عن ذكر اقامة المآتم والنياحات العلنية على عهده. وسبب ذلك هو شدة ضغط الأمويين عليه وعلى آله وصحبه، الأمر الذي كان يدعو الامام عليه السلام وآله الى اتخاذ جانب الحيطة والحذر والتقية، واقامة مثل هذه المآتم في بيوتهم الخاصة وراء الاستار الكثيفة ولم يحضرها سوى خاصتهم، وفيما يلي بعض الروايات عن ذلك:

١- جاء في الصفحة «١٥٢» من كتاب «نهضة الحسين» ما نصه:

« يحدثنا التاريخ الاسلامي عن أعلام أهل البيت النبوي انهم كانوا يستشعرون الحزن كلما هل هلال المحرم، وتفد عليهم وفود من الشعراء العرب لتجديد ذكرى الحسين لدى أبنائه الأماجد. وقد ألقوا روائع في فن الرثاء والتسلية والتذكير باسلوب ساحر أخاذ، وظل شعرهم خالدا رغم كر العصور.

فقد كان الشاعر العربي الكميت بن زيد الأسدي من شعراء العصر الأموي، والمتوفى في سنة «١٢٦هـ » قد جعل معظم قصائده في مدح بني هاشم وذكر مصائب آل الرسول عليهم السلام حتى سميت قصائده بالهاشميات، وكان ينشد معظمها في مجالس الامام الصادق، وأبيه محمد الباقر، وجده علي بن الحسين عليهم السلام ».

٢- جاء في « كامل الزيارات » لابن قولويه صفحة «١٧٥» عن مالك الجهني قال:

« ان الباقر قال في يوم عاشورا: ولينـدب الحسين ويبكه ويأمر من في داره بالبكاء عليه، ويقيم في داره مصيبة باظهار الجزع عليه، ويتلاقون بالبكاء عليه، بعضهم في البيوت. وليعّز بعضهم بعضا بمصاب الحسين. فانا ضامن على الله لهم اذا فعلوا ذلك أن يعطيهم ثواب ألفي حجة وعمرة وغزوة مع رسول الله والائمة الراشدين ».

٣- جاء في الصفحة «١٢٦» من كتاب « الشيعة والحاكمون » عند ذكر شاعر آل البيت الكميت الأسدي صاحب « الهاشميات » قوله:

« فحينئذ قدم الكميت المدينة وأنشد الامام محمد الباقر بن علي بن الحسين، فلما بلغ من الميمية قوله:

وقتيـــل بـــالطف غـــودر مـــنهم بـــين غوغـــاء أمـــة وطغـــام

بكى الامام، ثم قال: ياكميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال الرسول لحسان بن ثابت: لا زلت مؤيدا بروح القدس ماذببت عنا أهل البيت ... ».

٤- جاء في الصفحة «١٠٦» من كتاب « اقناع اللائم » ماعبارته:

« وروى الشيخ الطوسي في « مصباح المتهجد » بسنده عن أبن جعفر الباقر عليه السلام أنه قال وذكر ثواب زيارة الحسين عليه السلام يوم عاشوراء حتى يظل عنده باكيا وقال:

« ان البعيد يومئ اليه بالسلام [١]، ويجتهد[٢] في الدعاء على قاتله، ويصلي[٣] من بعده ركعتين. قال: وليكن ذلك في صدر النهار قبل أن تزول الشمس ثم ليندب الحسين وليبكه، ويأمر من في داره ممن لا يتعبه[٤] بالبكاء عليه، ويقيم في داره المصيبة باظهار الجزع عليه ... » [٥].

٥- وجاء في الصفحة «١٠٥» من الكتاب نفسه مانصه:

« روى ابن قولويه في كامله بسنده عن الباقر عليه السلام انه قال: ايما مؤمن دمعت

---

(١) في المصدر هكذا العبارة: وصعد سطحا مرتفعا في داره وأوما اليه بالسلام.

(٢) في المصدر (واجتهد).

(٣) في المصدر (وصلى من بعد).

(٤) في المصدر (لا يتقيه).

(٥) مصباح المتجهد: ٧١٤.

عيناه لقتل الحسين دمعة حتى تسيل على خده بوّأه الله بها في الجنة غرفا يسكنها أحقابا »[1].

٦- في الصفحة «٣٣» من كتاب « ثورة الحسين» لمؤلفه الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المطبوع في النجف سنة ١٣٩٠هـ قوله:

« لقد بدأت تظهر آثار ثورة الحسين في الوجدان الشعبي من شعر الرثاء لشهداء الثورة، وفي شعر النوح والتوبة من أولئك الذين قعدوا عن مناصرة الثورة أو ساهموا في الحرب ضدها ... ».

ثم يستطرد المؤلف ويقول:

« ولكن نشوب الثورة في الحجاز ضد الحكم الأموي وامتدادها الى العراق وغيره، وانطلاق الأعمال الانتقامية ضد الامويين وأعوانهم، أطلق فيضا من الشعر الرثائي لثوار كربلاء.

ويبدو لي أنه في هذه المرحلة بالذات بدأت المآتم الحسينية بشكل بسيط. ولا بد أنها بدأت على شكل اجتماعات صغيرة، يعقدها نفر من المسلمين الناقمين من أتباع أهل البيت وغيرهم في بيت أحدهم، فيتحدثون عن الحسين وعما جرى عليه، وينتقدون السلطة التي حاربته وامتدادها القانوني المتمثل في السلطة المعاصرة له ويتبرأون منها. وربما تناشدوا شيئا من شعر الرثاء الذي قيل في الثورة، وفي بطلها وقتلاها، وقد تطورت هذه المآتم عبر العصور فمرت في أدوار متميزة حتى انتهت الى أيامنا هذه الى الشكل الذي تقام به الآن ... ». ثم يواصل الكاتب كلامه ببيان العوامل التي أنشات هذه المآتم ويقول ماعبارته:

« الرابع: تشجيع أئمة أهل البيت على احياء هذه الذكرى، وحثهم على نظم الشعر وانشاده في شأنها، وعقدهم لمجالس الذكرى في بيوتهم، واستقبالهم للشعراء

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٠.

وسماعهم لهم.

وقد تعاظم تركيز الأئمة على هذا منذ عهد الامام الباقر والصادق عليهما السلام ، ومن الاسماء البارزة في هذه المجالس الكميت بن زيد الأسدي، والسيد الحميري، وجعفر بن عفان، ودعبل الخزاعي، وغيرهم ... ».

ج - بكاء الامام السادس جعفر الصادق عليه السلام

أما الامام السادس جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فإنه كان من أكثر الأئمة عليهم السلام حزناً وبكاء ونياحة على جده الامام الشهيد عليه السلام . والروايات في وصف بكائه ونحيبه كثيرة ومتواترة، وقد ملأت بطون كتب التاريخ وأسفار الحديث والمرويات. وأنقل تالياً بعض هذه الرويات:

١ - روى كتاب « إقناع اللائم » صفحة «٩٧» عن ابن قولويه في « الكامل » بسنده عن ابن بصير. قال: « كنت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام فدخل عليه ابنه، فقال له: مرحباً وضمه وقبله، وقال: حقر الله من حقركم، وانتقم ممن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم ولياً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء السماء وبكاء الانبياء والصديقين والشهداء وملائكة السماء، ثم بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت الى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أوتى الى أبيهم واليهم. يا أبا بصير إن فاطمة لتبكي ... ».

ثم يستطرد الامام فيقول:

« أما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة. فبكيت حين قالها فما قدرت على النطق من البكاء » [1].

٢ - وفي « إقناع اللائم » أيضاً ما نصه:

---

(١) كامل الزيارات: ٨٢.

« عن معاوية بن وهب قال: دخلت يوم عاشوراء الى دار مولاي جعفر الصادق عليه السلام فرأيته ساجداً في محرابه فجلست من ورائه حتى فرغ، فأطال في سجوده، وبكائه، فسمعته وهو ساجد يناجي ربه ويدعو بالغفران لنفسه ولإخوته ولزوار أبي عبد الله الحسين ويكرر ذلك ... ».

ثم يستطرد معاوية فيقول:

« فلما رفع مولاي رأسه أتيت اليه وسلمت عليه وتأملت وجهه، فإذا هو كاسف اللون، متغير الحال، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر على خديه كاللؤلؤ الرطب. فقلت: يا سيدي ممن بكاؤك لا أبكى الله لك عيناً؟ وما الذي حل بك؟ فقال لي: أو في غفلة أنت عن هذا اليوم؟ فبكيت لبكائه، وحزنت لحزنه. فقلت: يا سيدي فما الذي فعل في مثل هذا اليوم؟ فقال: يا ابن وهب، زر الحسين عليه السلام من بعيد أقصى، ومن قريب أدنى وجدد الحزن عليه،وأكثر البكاء عليه والشجو له ... ».

ثم يواصل معاوية الكلام ويقول:

« فقلت: جعلت فداك، لم أدر أن الأجر يبلغ هذا كله حتى سمعت دعاءك لزواره. فقال لي: يا ابن وهب إن الذي يدعو لزواره في السماء أكثر ممن يدعون لهم في الارض، فإياك أن تدع زيارته لخوف من أحد. فمن تركها لخوف أحد رأى الحسرة والندم. يا ابن وهب، أما تحب أن يرى الله شخصك؟ أما تحب أن تكون غداً ممن يصافحه رسول الله عليه السلام يوم القيامة؟

قلت: يا سيدي فما قولك في صومه من غير تبييت؟ فقال لي: لاتجعله صوم يوم كامل. وليكن إفطارك بعد العصر بساعة، على شربة من ماء، فإنه في ذلك الوقت انجلت الهيجاء عن آل الرسول وانكشفت الغمة عنهم، ومنهم في الارض ثلاثون قتيلاً، يعزعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مصرعهم، ولو كان حياً لكان هو المعزى بهم.

ثم بكى الصادق عليه السلام حتى اخضلت لحيته بدموعه، ولم يزل حزيناً كئيباً

طول يومه ذلك: وأنا أبكي لبكائه وأحزن لحزنه ... » [1].

٣ - روى الصدوق في « الامالي » [2]، وابن قولويه في « الكامل » [3] بسنديهما عن أبي عمارة المنشد، عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام قال لي: يا أبا عمارة، أنشدني في الحسين بن علي. فانشدته فبكى، ثم انشدته فبكى قال: فو الله ما زلت أنشده فيبكي حتى سمعت بكاء من في الدار. فقال: يا أبا عمارة من أنشد في الحسين بن علي شعراً فأبكى خمسين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى ثلاثين فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى عشرة فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فأبكى واحداً فله الجنة، ومن أنشد في الحسين شعراً فتباكى فله الجنة ... ».

٤ - وروى الكشي في كتاب « الرجال » [4] عن زيد الشحام قال: كنا عند أبي عبد الله جعفر الصادق، ونحن جماعة من الكوفيين. فدخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله، فقربه وأدناه. ثم قال: يا جعفر. قال: لبيك، جعلني الله فداك. قال: بلغني أنك تقول الشعر في الحسين عليه السلام وتجيد فقال له: نعم، جعلني الله فداك. قال: قل. فأنشده، فبكى ومن حوله حتى صارت الدموع على وجهه ولحيته. ثم قال: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقربين هاهنا يسمعون قولك في الحسين، ولقد بكوا كما بكينا أو أكثر. ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعتك الجنة بأسرها، وغفر الله لك فقال: يا جعفر، أولا أزيدك! قال: نعم يا سيدي. قال: ما من أحد قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى به إلا أوجب الله له الجنة وغفر له .. ».

---

(١) اقناع اللائم: ٩٦ مع اختلاف فيه.

(٢) أمالي الصدوق: ١٢١ | ٦.

(٣) كامل الزيارات: ١٠٥ مع اختلاف فيه.

(٤) الكشي في كتاب الرجال: ٢٨٩ | ٥٠٨.

٥ - وروى أبو الفرج الاصفهاني في أغانيه [١]، بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي، عن أبيه قال: « كنت عند بي عبد الله جعفر بن محمد، فاستأذن [٢] آذنه للسيد الحميري، فأمر بإيصاله، واقعد حرمه خلف ستر. ودخل فسلم وجلس، فاستنشده فأنشده قوله:

امـــرر علـــى جـــدث الحســـين فقـــل لأعظمـــه الزكيـــه
آ أعظمـــاً لا زلـــت مـــن وطفـــاء ســـاكبة رويـــه
واذا مـــررت بقـــبره فأطـــل بـــه وقـــف المطيـــه
وأبـــك المطهـــر للمطهـــر والمطهـــرة النقيـــه
كبكـــاء معولـــة أتـــت يومـــا لواحـــدها المنيـــة

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد عليه السلام تتحدر على خديه، وارتفع الصراخ من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك ... ».

وروى ابو الفرج في أغانيه [٣]، عن التميمي، عن أبيه، عن فضيل الرسان. قال: أنشد جعفر بن محمد قصيدة السيد:

لأم عمـــرو بـــاللوى مربـــع دارســـة أعلامـــه برقـــع

فسمعت النحيب من داره فسألني لمن هي؟ فأخبرته انها للسيد. وسألني عنه فعرفته وفاته، فقال: رحمه الله ... ».

٦ - وروى الصدوق في « ثواب الاعمال » بالاسناد الى أبي هارون المكفوف. قال: أدخلت على أبي عبد الله الصادق فقال لي: يا أبا هارون، أنشدني في الحسين، فأنشدته، فقال لي: أنشدني كما تنشدون - يعني بالرقة - فأنشدته.

أمرر على جدث الحسين فقل لأعظمه الزكيه.

---

(١) الاغاني ٧: ٢٤٠.
(٢) في المصدر (إذ استأذن).
(٣) الاغاني ٧: ٢٤١.

قال: فبكى .. ثم قال: زدني، فأنشدته القصيدة الأخرى.

مـــا لـــذ عـــيش بعـــد رضـــك بالجيـــــــاد الأعوجيـــــــه

فبكى. وسمعت البكاء من خلف الستر [1].

٧ - وفي « إقناع اللائم » عن خالد بن سدير عن الصادق عليه السلام قال: « لقد شققن الجيوب، ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي عليه السلام. وعلى مثله تلطم الخدود، وتشق الجيوب ... ».

٨ - وفي بعض الروايات: « إن الصادق عليه السلام قال: من قال في الحسين شعراً فبكى وأبكى غفر الله له، ووجبت له الجنة » [2].

٩ - في الصفحة ١٥٩ من المجلد الأول « المجالس السنية » ما نصه:

« روي عن الصادق أنه قال: ما اكتحلت هاشمية، ولا اختضبت، ولا رؤي في دار هاشمي دخان خمس سنين حتى قتل عبيد الله بن زياد.

وعن فاطمة بنت علي بن أبي طالب انها قالت: ما تحنأت امرأة منا، ولا أجالت في عينها مروداً، ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيد الله بن زياد .. ».

١٠ - وفي صفحة «٨١» من كتاب « المجالس الحسينية » السالف الذكر، من دعاء للامام الصادق عليه السلام:

« اللهم أرحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا. وأرحم تلك القلوب التي حزنت واحترقت لنا .. وأرحم تلك الصرخة التي كانت لنا ... ».

١١ - جاء في الصفحة «١٠٨» من « إقناع اللائم » ما يلي:

« روى ابن قولويه في الكامل بأسانيده عن أبي عماره المنشد قال: ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله جعفر الصادق في يوم قط فرؤي مبتسماً ذلك

---

(١) ثواب الاعمال للشيخ الصدوق: ٨٣.

(٢) ثواب الاعمال للشيخ الصدوق: ٨٤.

اليوم الى الليل. وكان أبو عبد الله يقول: الحسين عبرة كل مؤمن » [1].

١٢ - وجاء في الصفحة «١٠٥» منه أيضاً ما يلي:

« روى الشيخ الطوسي في الأمالي، عن المفيد، بسنده عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: « كل الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين ... » [2].

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن الصادق انه قال: « إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليه السلام فأنه فيه مأجور » [3].

ومما يجدر الاشارة اليه هنا: ان النائحين على الحسين قد وجدوا متنفساً على أواخر عهد الامام الباقر وطوال عهد الامام الصادق لبيان حزنهم، وإقامة مآتمهم، وإحياء ذكرى عزاء الحسين وآله وأصحابه.

إذ إن الفترة الواقعة في زمن هذين الإمامين بين عهد مروان الحمار آخر الخلفاء الأمويين، وأبي العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين، كانت فرصة مؤآتية للامام محمد الباقر وابنه الامام جعفر الصادق لبث علوم أهل البيت ونشرها على الناس، وإحياء ذكرى الامام الحسين وإذاعتها، والنياحة عليه علناً بعد أن كانت سراً.

د - بكاء الإمام موسى بن جعفر عليه السلام

والمرويات عن نياح وبكاء الامام السابع موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام ضئيلة. وأنقل تالياً ما عثرت عليه من ذلك في بطون الكتب.

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٨.

(٢) امالي الطوسي ١: ١٦٣.

(٣) كامل الزيارات: ١٠٠.

١ - نقل عن الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليه السلام المدفون في مشهد طوس بخراسان في إيران أنه قال:

« كان أبي إذا دخل محرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي منه عشرة أيام. فإذا كان اليوم العاشر منه كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه. ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه جدي الحسين » [١].

أقول: أما سبب عدم تحرك أهل البيت ونشاطهم ومواليهم في إحياء ذكرى مجزرة كربلاء ومقتل الامام الشهيد وأصحابه على عهد هذا الامام، فهو الضغط الشديد عليهم من جراء السياسة الخشنة التي كان يمارسها الخلفاء العباسيون ولا سيما هارون الرشيد ضد آل البيت والعلويين، وما كان يلاقيه الامام موسى الكاظم من عنت ومعارضة وتحديد لحريته، وتقييد لحركاته وسكناته من قبل السلطات الممثلة للخلفاء العباسيين، وكانت نكبة آل البيت وشيعتهم على هذا العهد رهيبة للغاية، وأصبحت اجتماعاتهم ومجالسهم محدودة جداً، ومراقبة مراقبة شديدة كما كانت تحصى عليهم حركاتهم وسكناتهم وحتى أنفاسهم. خاصة وأن إمامهم موسى بن جعفر عليهما السلام قضى أكثر أيامه مطارداً أو رهين سجن العباسيين، ذلك السجن الذي قضى فيه نحبه مسموماً.

هـ - بكاء الامام علي بن موسى الرضا عليهما السلام

وقد امتلأت كتب التاريخ ومؤلفات الرواة بأخبار حزن ونياحة الامام الثامن علي بن موسى الرضا عليهما السلام على جده الحسين عليه السلام وأنقل تالياً نبذاً منها:

١ - جاء في كتاب « إقناع اللائم » انه:

« روى الصدوق في الأمالي بسنده عن الرضا عليه السلام قال: إن المحرم شهر كان

---

(١) أمالي الصدوق ٢: ١١١.

أهل الجاهلية يحرمون فيه القتال، فاستحلت فيه دماؤنا، وهتكت فه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونساؤنا، وأضرمت النار في مضاربنا، وانتهبت ما فيها من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حرمة في أمرنا. إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء الى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فان البكاء عليه يحط الذنوب العظام » [1].

٢ - وروى الصدوق في « الأمالي والعيون » بسنده عن الريان بن شبيب قال: « دخلت على الرضا عليه السلام في أول يوم محرم. قال: يا ابن شبيب، إن المحرم هو الشهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرمون فيه الظلم والقتل لحرمته، فما عرفت هذه الأمة حرمة شهرها، ولا حرمة نبيها صلى الله عليه وآله وسلم، لقد قتلوا في هذا الشهر ذريته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبداً. يا ابن شبيب، إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب، فانه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في الأرض شبيه، ولقد بكت السماوات السبع والأرضون لقتله، ولقد نزل الى الارض من الملائكة أربعة الآف لنصره فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر الى أن يقوم القائم فيكونون من أنصاره وشعارهم: (يا لثارت الحسين). يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي، عن أبيه عن جده أنه لما قتل جدي الحسين عليه السلام أمطرت السماء دماً وتراباً أحمراً. يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خديك غفر الله لك كل ذنب أذنبته، صغيراً كان أو كبيراً، قليلاً كان أو كثيراً ... » الى آخر الحديث [2].

٣ - وحكي عن الشاعر الشهير دعبل الخزاعي أنه قال: « دخلت على سيدي ومولاي علي بن موسى عليهما السلام بمرو في أيام عشرة المحرم، فرأيته جالساً

---

(١) امالي الصدوق: ١١١ | ٢.

(٢) امالي الصدوق: ١١٢ | ٥.

جلسة الحزين الكئيب، وأصحابه جلوس حوله. فلما رآني مقبلاً قال لي: مرحباً بك يا دعبل، مرحباً بناصرنا بيده ولسانه، ثم إنه وسع لي في مجلسه، وأجلسني الى جانبه، ثم قال: يا دعبل أحب أن تنشدني شعراً فإن هذه الأيام أيام حزن كانت علينا أهل البيت، وأيام سرور كانت على أعدائنا، خصوصاً بني أمية. ثم إنه نهض وضرب ستراً بيننا وبين حرمه وأجلس أهل بيته من وراء الستر ليبكوا على مصاب جدهم الحسين. ثم التفت اليّ وقال يا دعبل، إرث الحسين، فأنت ناصرنا ومادحنا ما دمت حياً. قال دعبل: فاستعبرت، وسالت دموعي وأنشأت:

أفاطم لو خلت الحسين مجدلاً وقد مات عطشانا بشط فرات

إذاً للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات

الى آخر القصيدة التائية التي تناقلتها جميع كتب التاريخ وأسفار الحديث، واعتبرتها من أبلغ القصائد رثاء وفجيعة وحزناً [1].

٤ - وفي « إقناع اللائم » ما نصه:

روى الصدوق في « عيون أخبار الرضا » بسنده عن عبد السلام بن صالح الهروي قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله على ابي الحسن علي بن موسى الرضا عليهما السلام بمرو فقال له: يا ابن رسول الله، إني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك. فقال عليه السلام: هاتها فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ البيت:

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى الامام الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي [2].

٥ - نقلت كتب الحديث عن الامام الرضا عليه السلام عن يوم عاشوراء ما يلي:

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٥٧.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٦٧.

« من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عز وجل يوم القيامة يوم فرحه وسروره وقرت في الجنان عينه ومن سمى يوم عاشوراء يوم بركة وادخر فيه لمنزله شيئا لم يبارك فيما ادخر »[1].

٦ - وجاء في الروايات: إن الشاعر إبراهيم بن عباس دخل على الامام الرضا عليه السلام وأنشد قصيدته التي يقول في أولها:

أزال عزاء القلب بعد التجلد مصارع أولاد النبي محمد

فبكى الامام عليه السلام، وبكى من في مجلسه عند إنشاد هذه القصيدة.

٧ - جاء في الصفحة «١٧٨» من كتاب « الشيعة والحاكمون » عند ذكر قصيدة دعبل التائية وإنشادها أمام الامام الرضا قوله:

« وبكى الامام الرضا حين أنشد دعبل القصيدة، وبكت معه النسوة والأطفال. وما زال الشيعة يتلونها الى اليوم على المنابر ويبكون ... ».

أقول: إن قصيدة دعبل الخزاعي هذه بلغت «١٢٠» بيتاً، وكل أبياتها شجية، ومن أشجاها هذان البيتان:

سأبكيهم ما ذر في الأرض شارق ونادى منادٍ الخير للصلوات

وما طلعت شمس وحان غروبها وبالليل أبكيهم وبالغدوات [2]

وقد عاش دعبل «٩٨» سنة وكان مجيئه الى مرو لزيارة الامام الرضا عن طريق البصرة سنة «١٩٨ هـ»، وبقي فيها عند الامام الى سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة «٢٤٦ هـ» بالطيب، وهي بلدة بالقرب من الاهواز.

وأجد مناسباً هنا بأن أنقل بعض ما نظمه دعبل في رثاء الامام الشهيد عليه السلام والنياحة عليه. فمن قصيدة له فيه:

---

(١) امالي الصدوق ١١٢ | ٤.

(٢) بحار الانوار ٤٥: ٢٥٧.

زر خـــير قـــبر بـــالعراق يـــزار واعـــص الحمـــار فمـــن نهـــاك حمـــار
لم لا أزورك يـــا حســـين لـــك الفـــدا قـــومي ومـــن عطفـــت عليـــه نـــزار
ولـــك المـــودة مـــن قلـــوب ذوي النهـــى وعلـــى عـــدوك مقتـــة ودمـــار
يـــابن الشـــهيد ويـــا شـــهيداً عمـــه خـــير العمومـــة جعفـــر الطيـــار [1]

ولدعبل أيضاً من قصيدة:

و - بكاء بقية أئمة الهدى عليهم السلام على جدهم

أما شعائر النياحة والحزن، وإقامة المآتم والعزاء على شهيد كربلاء وآله بعد الامام الثامن علي بن موسى الرضا وعلى عهد الأئمة الاربعة الآخرين - الامام التاسع: محمد بن علي التقي، والامام العاشر: علي بن محمد النقي، والامام الحادي عشر: الحسن بن علي العسكري، والامام الثاني عشر: القائم، محمد بن الحسن عليهم السلام - فقد أخذت تسير سيراً صعودياً أحياناً، وهبوطياً أحياناً أخرى، تبعاً للساسة التي كان يمارسها الخلفاء العباسيون وسلطاتهم تجاه شيعة آل محمد عليهم السلام وهؤلاء الأئمة الأربعة الهداة. وكانت الحرية تطلق بعض الوقت لهؤلاء الأئمة ومواليهم وشيعتهم بإقامة شعائرهم ومناحاتهم على الامام الشهيد، فيقيمونها سراً أو علناً كما كانت تحدد هذه الحرية زمناً، ويمنع إقامة هذه الشعائر

---

(١) مقتل الخوارزمي ٢: ١٠٠.

الحزينة علناً، وحتى سراً أحياناً.

ففي عهد الامام التاسع محمد الجواد التقي، نالت الشيعة بعض الحرية في إقامة شعائرهم الكئيبة هذه، لأن الخليفة المأمون كان متساهلاً معهم خاصة وأن الامام محمد الجواد كان صهره على ابنته أم الفضل، وكانت المآتم على الامام الحسين تقام في دور العلويين علناً ودون أي ضغط، وليس من يعارضهم في ذلك. وقد استمرت هذه الحالة على عهد المعتصم ايضاً الذي كان يسعى لمراعاة شعور العلويين والموالين لآل البيت، ويمنع إدخال الضغط عليهم الى حد ما، ويسمح لهم بإقامة المناحات على الحسين الشهيد، في دورهم وخارجها، سراً وعلناً.

أما بعد المعتصم - أي على عهد الأئمة الثلاثة الآخرين - فقد أخذت السلطات الحاكمة بإيعاز من الخلفاء العباسيين الذين خلفوا المعتصم تشدد على هؤلاء الأئمة عليهم السلام وشيعتهم ومواليهم، وتمنعهم من إقامة شعائر العزاء والحزن على الحسين عليه السلام، وتحد من حرياتهم في ذلك. غير أن المقيمين لهذه المآتم لم يمتنعوا عن إقامتها سراً في دورهم وإن لم يستطيعوا إقامتها علناً وجهاراً، وكانوا يستعملون التقية، ويسدلون الأستار على الأماكن التي كانوا يقيمون فيها هذه الشعائر الحزينة في دورهم، وخاصة عند قبور الأئمة، كقبر الامام الحسين بكربلاء، وقبر الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام في النجف، وقبري الامامين الجوادين في الكاظمية - مقابر قريش -. ولذلك نجد أخبار وروايات إقامة هذه الشعائر المأتمية على عهد هؤلاء الأئمة الثلاثة شحيحة جداً.

وهكذا كان شأن إقامة هذه النياحات والمآتم، وحفلات الحزن وشعائر العزاء على الحسين الشهيد، على عهد الأئمة الأطهار الاثني عشر عليهم السلام بين مد وجزر ولكنهم عليهم السلام كانوا لا يتركون أية فرصة في كل عصر وجيل إلا حثوا شيعتهم ومواليهم على البكاء على الحسين عليه السلام، والحزن لقتله، ورثائه بالأشعار والقصائد، وإقامة العزاء والمآتم عليه، واتخاذ يوم عاشوراء خاصة يوم حزن وبكاء ونياحة.

الفصل التاسع عشر

نياحة المشايخ والصحابة والعظماء على الحسين عليه السلام

أما حزن الصحابة ومن على شاكلتهم، ونياحتهم على الامام الشهيد عليه السلام وفي مختلف العصور والأدوار، فقد ملأت أخبارها بطون الكتب والأسفار، وتحدث بها الركبان، وتناقلتها الألسنة. وقد بدأ ذلك منذ وقوع الحادث المفجع وحتى الوقت الحاضر، ولم تتقصر هذه النياحات على فئة خاصة، من المشايخ، والصحابة، والأمراء والوزراء. والعلماء، والعظماء، والأماجد، بل شملت جميعهم ..

وفيما يلي نأتي على ذكر طائفة قليلة من أسماء هؤلاء الذين ناحوا على الحسين وبكوه ورثوه وحزنوا عليه، منذ اليوم الذي أحتز رأسه في ساحة كربلاء، ثم نقل الى الكوفة، ثم الى دمشق وغيرها من المدن والأمصار وخاصة منهم من كان قريب عهد بتلك المجزرة الرهيبة ..

١ - جاء في « الصواعق المحرقة » [١] لابن حجر، و « تذكرة الخواص » [٢] لسبط ابن الجوزي وغيرهما من رواة الحديث السنة:

انه روى ابن أبي الدنيا عند ذكر وضع رأسه الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد في الكوفة وضربه ثنايا الامام عليه السلام بالقضيب ما نصه:

---

(١) الصواعق المحرقة: ١١٨.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٣١.

« إنه كان عند ابن زياد الصحابي زيد بن الأرقم، فقال لابن زياد: إرفع قضيبك، فو الله لطالما رأيت رسول الله ﷺ يقبل ما بين هاتين الشفتين. ثم جعل زيد يبكي. فقال له ابن زياد: أبكى الله عينك، لو لا أنك شيخ قد خرفت لضربت عنقك. فنهض زيد وهو يقول: أيها الناس، أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة وأمرتم ابن مرجانة، والله ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم، فبعداً لمن رضي بالذل والعار.

ثم قال: يا ابن زياد، لاحدثنك بما هو اغلظ عليك من هذا: رأيت رسول الله أقعد حسناً على فخذه اليمنى وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يده على يافوخيهما، ثم قال: اللهم إني استودعك إياهما وصالح المؤمنين. فكيف كانت وديعة النبي ﷺ عندك يا ابن زياد؟ .. ».

ونقل هذا الحادث الطبري [1] أيضاً بسنده عن حميد بن مسلم، وأورده ابن الأثير في تاريخه باختصار. وكذا أبو حنيفه الدينوري في « الاخبار الطوال »، وكذا « منتخب كنز العمال » للشيخ علي الهندي، ولكن بعبارات قليلة الاختلاف.

٢ - ومن التابعين الذين بكوا الحسين بغزارة الحسن البصري. ففي « تذكرة الخواص » لسبط ابن الجوزي: قال الزهري: « لما بلغ الحسن البصري قتل الحسين بكى حتى اختلج صدغاه. ثم قال: واذل أمة قتلت ابن بنت نبيها، والله ليردّنّ رأس الحسين الى جسده ثم لينتقمن له جده وأبوه من ابن مرجانة » [2].

٣ - وممن بكى الحسين وكان قد رآه قبل استشهاده أم سلمة زوجة النبي ﷺ، والربيع بن خيثم، وأنس بن مالك وغيرهم.

فقد جاء في الصفحة «٦٧» من كتاب « إقناع اللائم » ما عبارته:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٩.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٤٠.

« وفي تذكرة الخواص [1]: ذكر ابن سعد عن أم سلمة انها لما بلغها قتل الحسين قالت: أو فعلوها؟ ملأ الله قبورهم ناراً، ثم بكت حتى غشي عليها .. ». ونقل هذا الخبر في « الصواعق المحرقة » لابن حجر.

ويستطرد « إقناع اللائم » فيقول:

« ومن الصحابة الذين بكوا الحسين أنس بن مالك، ففي « الصواعق المحرقة » [2]: ولما حمل رأسه - رأس الحسين - لابن زياد، جعله في طست، وجعل يضرب ثناياه بقضيب ويدخله في انفه، ويقول: ما رأيت مثل هذا حسناً، إنه كان لحسن الثغر، وكان عنده أنس بن مالك فبكى وقال: أشبههم برسول الله ». وروى هذا الحديث الترمذي وغيره.

٤ - وفي الصفحة «٧١» من « إقناع اللائم » ما نصه:

« ومن الأُلى الذين بكوا على الحسين الربيع بن خيثم. ففي « تذكرة الخواص» [3] لسبط ابن الجوزي الحنفي ما نصه:

قال الزهري: لما بلغ الربيع بن خيثم قتل الحسين بكى وقال: لقد قتلوا فتية لو رآهم رسول الله ﷺ لأحبهم وأطعمهم بيده، وأجلسهم على فخذه.

٥ - وجاء في الصفحة «١٥٦» من الكتاب نفسه ما عبارته:

وقال جعفر بن عفان، وهو من أصحاب الصادق جعفر بن محمد، يرثي الحسين:

لبيك على الاسلام من كان باكيا ... فقد ضعيت أحكامه واستحلت

غداة حسين للرماح دريئة ... وقد نهلت منه السيوف وعلت

وغودر في الصحراء لحماً مبدداً ... عليه عناق الطير باتت وظلت

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٤٠.

(٢) الصواعق المحرقة: ٣٠٠.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٤٠.

فمـــا نصـــرته أمـــة الســـوء إذ دعـــا لقـــد طاشـــت الأحـــلام منهـــا وضـــلت
ألا بـــل محـــوا أنـــوارهم بـــأكفهم فـــلا ســـلمت تلـــك الأكـــف وشـــلت
ونـــــاداهم جهـــــداً بحـــــق محمـــــد فـــإن ابنـــه مـــن نفســـه حيـــث حلـــت
فـــلا حفظـــوا قـــربى الرســـول ولا رعـــوا وزلـــــت بهـــــم أقـــــدامهم واســـــتزلت
أذاقتـــــه حـــــر القتـــــل أمـــــة جـــــده هفـــــت نعلهـــــا في كـــــربلاء وزلـــــت
فـــــلا قـــــدس الـــــرحمن أمـــــة جـــــده وإن هـــــي صـــــامت للإلـــــه وصـــــلت
كمـــا فجعـــت بنـــت الرســـول بنســـلها وكـــانوا حمـــاة الحـــرب حيـــث استقلت [1]

٦ - وممن بكى الحسين ورثاه الامام الشافعي. ففي الصفحة «١٥٧» من الكتاب نفسه ما عبارته:

« وفي البحـار [2]: عـن بعـض كتـب المناقـب القديمـة: أخـبرني سـيد الحفـاظ أبـو منصـور شهردار بن شيرويه الديلمي عن محيي السنة أبي الفتح احاد قال: أنشدني أبو الطيب البابلي، أنشدني أبو النجم بدر بن إبرهيم بالدينور، للشافعي محمد بن إدريس. وفي ينابيع المودة [3] قال الحافظ جمال الدين الزرندي المدني في كتاب « معراج الوصول في معرفة آل الرسول »: نقل أبو القاسم الفضل بن محمد المستحلي: إن القاضي أبا بكر سهل بن محمد حدثه قال: قال أبو القاسم بن الطيب: بلغني أن الشافعي أنشد هذه الأبيات.

أقول: وأوردها ابن شهر آشوب في المناقب [4] للشافعي. وهي:

تـــأوب همـــي والفـــؤاد كئيـــب وأرق عيـــني والرقـــاد غريـــب
ومـــا نفـــى جســـمي وشـــيب لمـــتي تصـــاديف أيـــام لهـــن خطـــوب

---

(١) بحار الانوار ٤٥: ٢٨٦.

(٢) بحار الانوار ٤٥: ٢٧٣، وقد صححنا هذه الابيات كما وردت في البحار.

(٣) ينابيع المودة ٢: ٣٣٢.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١٢٤ مع اختلاف فيه وزيادة ابيات فراجع.

فمن مبلغ عني الحسين رسالة ... وإن كرهتها أنفس وقلوب
قتيلا بلا جرم كأن قميصه ... صبيغ بماء الارجوان خضيب
وللسيف إعوال وللرمح رنة ... وللخيل من بعد الصهيل نحيب
تزلزلت الدنيا لآل محمد ... وكادت لها صم الجبال تذوب
يصلى على المهدي من آل هاشم ... ويغزي بنوه إن ذا لعجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد ... فذلك ذنب لست منه اتوب
تزلزلت الدنيا لآل محمد ... وكادت لهم صم الجبال تذوب
فمن يبلغن عني الحسين رسالة ... وان كرهتها أنفس وقلوب
قتيلا بلا جرم كأن قميصه ... صبيغ بماء الأرجوان خضيب
نصلي على المختار من آل هاشم ... ونعزي بنيه إن ذلك عجيب
لئن كان ذنبي حب آل محمد ... فذلك ذنب لست عنه أتوب
هم شفعائي يوم حشري وموقفي ... وحبهم للشافعي ذنوب [1]

٧ - وقال مؤلف « إقناع اللائم » في الصفحة «١٥٩» ما نصه:

قال سبط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص: ذكر جدي في كتاب التبصرة قال: إنما سار الحسين الى القوم، لأنه رأى الشريعة قد دثرت فجد في رفع قواعد أصلها. فلما حصروه فقالوا له: انزل على حكم ابن زياد. فقال: لا أفعل، واختار القتل على الذل. وهكذا النفوس الأبية، ثم أنشد جدي ﷺ:

ولما رأوا بعض الحياة مذلة ... عليهم وعز الموت غير محرم
أبوا أن يذوقوا العيش والذل واقع ... عليه وماتوا ميتة لم تذمم
ولا عجب للاسد إن ظفرت بها ... كلاب الأعادي من فصيح وأعجم
فحربة وحشي سقت حمزة الردى ... وحتف علي من حسام ابن ملجم [2]

---

(١) ينابيع المودة ٢: ٣٣٢.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٤٥.

٨ - جاء في الصفحة «٢٢» من تاريخ « الكامل » [١] لابن الأثير، المجلد الثامن، في حوادث سنة «٢٩٤ هـ»، ما نصه:

« لما توفي القداح قام بعده ابنه أحمد، وصحبه إنسان يقال له: رستم بن راذان النجار، من أهل الكوفة، وكانا يقصدان المشاهد. وكان باليمن رجل اسمه محمد بن الفضل، كثير المال والعشيرة، من أهل الجند، يتشيع. فجاء الى مشهد الحسين بن علي يزوره، فرآه أحمد ورستم يبكي كثيراً. فلما خرج اجتمع به أحمد وطمع فيه لما رأى من بكائه، والقى اليه مذهبه فقبله، وسير معه النجار الى اليمن ».

٩ - في الصفحة «٥٢٦» من كتاب « مقاتل الطالبيين » السالف الذكر، في حوادث سنة «١٩٩ هـ»، عند ذكر قصة لحاق أبي السرايا السري بن المنصور بمحمد بن إبراهيم بن اسماعيل طباطبا، وقيامهما ضد السلطة العباسية، قوله:

« وأقبل أبو السريا على طريق البر حتى ورد عين التمر - وهي شفاثا الحالية بالعراق - في فوارس معه لا راجل فيهم، وأخذ على النهرين حتى ورد الى نينوى، فجاء الى قبر الحسين عليه السلام. قال نصر بن مزاحم: فحدثني رجل من أهل المدائن قال: إني لعند قبر الحسين في تلك الليلة وكانت ليلة ذات ريح ورعد ومطر، إذ بفرسان قد أقبلوا فترجلوا، ودخلوا الى القبر، فسلموا، وأطال رجل منهم الزيارة، ثم جعل يتمثل أبيات منصور بن الزبرقان الثمري وهو يبكي:

نفسي فداء الحسين يوم عدا ... الى المنايا عدو الأقافل

ثم أقبل عليّ وقال: ممن الرجل؟ قلت: رجل من الدهاقين من أهل المدائن [٢].

١٠ - في الصفحة «٢١» من كتاب « مدينة الحسين » المار ذكره ما عبارته:

« روى الطوسي في اماليه، بسنده عن أبي علي القماري.

---

(١) تاريخ الكامل لابن الأثير ٨: ٣٠ سطر أول.

(٢) الكامل لابن الأثير ٨: ٢٩ مع اختلاف فيه.

ومما يجب الاشارة اليه في هذه الفترة من الزمن: أنه في حوادث أواسط المائة الثانية من الهجرة سأل أحد المسيحيين المدعو يوحنا بن سرافيون بن موسى بن سريع أحد زملائه من المسلمين: لمن هذا القبر الذي يحجه المسلمون على شاطئ الفرات؟ فقيل له: قبر الامام الشهيد المظلوم أبي عبد الله الحسين عليه السلام قتيل الطف. فعند ذلك خرج يوحنا قاصداً كربلاء في صفوف الزائرين، وشاهد ما يعمله المسلمون المحبون لأهل البيت من النياح والبكاء عند القبر المطهر، ثم يتبركون بتربة القبر .. وعلى أثره استسلم يوحنا وأخذ يزور قبر الحسين كل مرة مع الزائرين والوافدين الذين يقصدون زيارة قبر الحسين عليه السلام ».

١١ - وفي الصفحة «١١٠» من الكتاب نفسه ما عبارته:

« كما روى ابن الأثير: إنه وفد الى كربلاء، صبيحة يوم العرفة سنة «٢٩٦ هـ»، أحد أقطاب الشعوبيين المدعو أحمد بن عبد الله القداح ابن ميمون الديصان وبرفقته أحد دعاتهم، المدعو رستم بن الحسين النجار ابن جوشب بن دادان الكوفي، وصادف عند وصولهم الحائر وجود محمد بن الفضل اليماني، الذي كان قادماً من اليمن لزيارة قبر الحسين، ومحمد هذا من رجال المال والثراء والعشيرة في اليمن، يتبعه كثير من الجند والخيل، فشاهده يكثر البكاء عند قبر الحسين، فاستغل ابن القداح كثرة بكائه، ولما انتهوا من الزيارة وهم بالخروج من الحائر تبعه حتى اجتمع اليه وأفشى له سره، معلناً له مطالبته بدم الحسين، الأمر الذي دعا بمحمد أن يطاوعه وراح يشد أزرهم بماله ورجاله، فتعاقدوا على بث الدعاية للخليفة الفاطمي، محمد بن عبيد الله بن أحمد بن حسين بن عبد الله بن محمد بن اسماعيل بن الامام جعفر الصادق القائم بالقيروان ».

١٢ - وجاء في الصفحة «١١٩» من الكتاب نفسه ما هو آت، عند ذكر زيارة الأمير دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن فريد، أبو الأغر الأسدي، للمرقد الحسيني سنة « ٥١٣ هـ » قال:

« قال: ولما ورد كربلاء دخل الى الحائر الحسيني باكياً حافياً، متضرعاً الى الله أن يمن عليه بالتوفيق، وينصره على أعدائه ... ».

هذه نبذة موجزة جداً عن أسماء بعض الصحابة والتابعين والأمراء وغيرهم ممن زاروا قبر الحسين بكربلا وبكوه ورثوه، جئت بها على سبيل الايجاز، إذ لو أردت إيراد التفاصيل في هذا الفصل لطال بي الكلام.

* * *

الفصل العشرون

النياحة على الحسين عليه السلام في عهد الأمراء البويهيين

لقد اتسع نطاق إقامة المناحات ومجالس العزاء على الحسين عليه السلام على عهد آل بويه، في أواسط الحكم العباسي، وقد أحيا هؤلاء الأمراء ورجال السلطة البويهية ما كان قد سبق من ذكريات هذه المناحات وشعارات المآتم، وأضافوا عليها كثيراً من الحالات، رغم معارضات ومخالفات معظم الخلفاء العباسيين لهم. ولم يقتصر إحياء هذه الذكريات والشعائر المؤلمة من قبل البويهيين على العراق، بل تعداه الى سائر البلدان الاسلامية، كمصر، وشمال إفريقية، وبعض البلدان العربية الأخرى، وإيران، وغيرها.

وإنه وإن لم يكن الأمراء البويهيون أول من أقام المناحة والعزاء والمآتم على الامام الحسين عليه السلام ولكنهم كانوا أول من وسعوها وأخروجوها من دائرة النواح الضيقة، في البيوت والمجالس الخاصة والنوادي الهادئة، وعلى قبر الامام الشهيد عليه السلام بكربلا، الى دائرة الأسواق العلنية والشوارع المتحركة، وتعويد الناس على اللطم على الصدور.

ولقد استمرت عادة النياحة على الامام الحسين عليه السلام واتسعت شعاراتها خلال مدة حكم آل بويه في العراق وإيران.

ذلك الحكم الذي ابتدأ سنة «٣٣٤ هـ» وانتهى في سنة «٤٦٧ هـ». وقد سقطت في فترة هذا الحكم السلطة من أيدي الخلفاء العباسيين ولم يبق لهم فيه غير الاسم

المجرد، إذ كانت السلطة الحقيقية بيد البويهيين.

وفيما يلي بعض ما روته كتب التاريخ ومؤلفات السير عن النياحة على عهد البويهيين:

١ - ذكر كتاب « مدينة الحسين » في سلسلته الثانية، عند البحث عن خدمات آل بويه في العراق والعتبات المقدسة ما عبارته:

« وهم - أي آل بويه - أول من بادروا بتخليد ذكر الحسين عليه السلام يوم عاشوراء إذ في محرم سنة ٣٥٢ هـ أمر السلطان معز الدولة الذي استولى على بغداد سنة ٣٣٤ هـ، على عهد الخليفة المستكفي، بتعطيل الأسواق، وشل حركة البيع والشراء وأن يسقوا الماء بنصبهم القباب في الاسواق، وخرجن النساء يلطمن وجوههن وينحن على الحسين عليه السلام . وبقيت هذه العادة مستمرة في كل عام من يوم عاشوراء حتى أواسط القرن السادس، على عهد السلاجقة ... ».

٢ - جاء في الصفحة «٣٧٢» من المجلد الأول من « موسوعة العتبات المقدسة » المار ذكرها، نقلاً عن كتاب « تاريخ الشيعة في الهند » لمؤلفه الدكتور هولبيستر ما نصه:

« وكان معز الدولة البويهيي في أيام تفوق البويهيين وحكمهم في بغداد هو الذي أدخل عادة إحياء الذكرى المؤلفه للحوادث التي وقعت في محرم، وعين فترة الحداد، فكانت بموجبه تغلق الأسواق ويعطل القصابون أعمالهم ويتوقف الطباخون عن الطبخ، وتفرغ الأحواض والصهاريج بما فيها من الماء، وتوضع الجرار مغلقة باللباد في الشوارع والطرق، وكانت النساء يمشين بشعور منشورة، وأوجه مسودة، وملابس ممزقة، يلطمن الخدود ويولولن، حزناً على الحسين الشهيد، وكانت تقرأ في ذلك اليوم المراثي والمناحات كذلك.

وإن عادة إعلان الحداد العام خلال العشرة الاولى من محرم الحرام كانت أعظم ابتداع ابتدعه معز الدولة البويهي وكان هذا الأمر قد أصدره سنة ٩٦٣ م،

فحتم على الناس إحياء الذكرى السنوية لمقتل الحسين. وقد استمرت هذه العادة منذ ذلك الوقت وأصبحت أشهر العادات وأبعدها صيتاً بين العادات والأعراف الشيعية المألوفة ... ».

٣ - ذكر السيد جواد الشهرستاني في الصفحة «١٦٠» من كتاب « نهضة الحسين » ختاماً لكتاب والده هذا، ما نصه:

« وقد سجل التاريخ اهتمام معز الدولة البويهي، وسائر الملوك البويهيين، في الدولة العباسية ببغداد، عام «٣٥٢ هـ»، بشأن إقامة مآتم الحسين وإبرازها في هيئة مواكب خارج البيوت. فكانت النساء يخرجن ليلاً، ويخرج الرجال نهاراً، حاسري الروؤس، حفاة الأقدام، تحيتهم التعزية والمواساة بمأساة الحسين عليه السلام. ولا تزال هذه العادة الى الآن في مدن العتبات المقدسة، في العراق وإيران ... ».

أقول: إنها لم تقتصر على العتبات المقدسة، ولم تقتصر أيضاً على العراق وايران، وإنما هي عادة متبعة في معظم بلدان العالم الاسلامي وقراها وقصباتها ..

٤ - ذكر الشيخ عبد العزيز جواهر الكلام، في الصفحة «١١» من المجلد الأول من تأليفه « آثار الشيعة الامامية »، عند ترجمة حياة معز الدولة أحمد بن بويه قوله:

« وكان متصلباً في التشيع، أمر الناس بإقامة المأتم للحسين الشهيد عليه السلام في العشرة الأولى من محرم، واستمرت عليها الشيعة من ذلك الحين ... ».

٥ - قال مؤلف « بغية النبلاء » السالف الذكر، في الصفحة «٦٨» ما عبارته:

« وكان آل بويه يناصرون الشيعة، وقد استكمل التشيع على عهدهم، حتى أن معز الدولة أمر سنة «٣٥٢ هـ» بإقامة المآتم في عاشوراء. وكان ذلك أول مأتم أقيم في بغداد ... ».

أقول: لم يكن هذا أول مأتم في بغداد، بل سبقته مآتم كثيرة فيها، كما مر ذكر ذلك في الفصول المتعاقبة، إلا إذا أريد بأنه كان أول مأتم عام في الاسواق

والشوارع ببغداد.

٦ - جاء في الصفحة «١٩٨» من المجلد الثالث، من كتاب « قهرمانان إسلام » باللغة الفارسية، أي: « أبطال الإسلام » لمؤلفه علي أكبر تشيد، ما ترجمته:

« وكان معز الدولة الديلمي قد أصر بمزاولة عادة إقامة المأتم في يومي تاسوعاء وعاشوراء في بغداد وصارت الجماعات من القائمين بهذه المآتم تجوب أسواق بغداد، بأعلامها الخاصة، لاطمة صدورها ورؤوسها. كما أن السلطان معز الدولة البويهي كان يرتدي رداء الحداد والحزن، ويتقدم عسكره المشترك في هذا المأتم. وهذه العادة التي لا زالت متداولة حتى الآن في الأقطار الاسلامية هي من آثار معز الدولة الممتازة وكان معز الدولة سلطاناً عادلاً، وتوفي سنة ٣٥٦ هـ ... ».

٧ - جاء في الصفحة «٥٥» من كتاب « تاريخ الامامين الكاظمين » لمؤلفه الشيخ جعفر نقدي، ما نصه:

« وكان معز الدولة البويهي مع وزرائه وأعيان دولته يزور الامامين عليهما السلام في كل خميس، وكان يبيت مع هؤلاء ليلة الجمعة في بيت فخم أعده حول المشهد، ثم يرتحل نهار الجمعة بعد تجديد الزيارة الى محل الحكم ».

وفي سنة «٣٥٢ هـ» أمر بإقامة العزاء لسيد الشهداء الحسين بن علي عليهما السلام في شهر محرم ...

وأمر الناس ببغداد أن يغلقوا دكاكينهم في العاشر منه ويعطلوا الأسواق والبيع والشراء، وأن يظهروا النياحة، ويلبسوا قباء عملوها بالمسوح، وأن يخرج الرجال والنساء، لاطمي الصدور والوجوه، وكانوا بهذه الحالة يأتون مشهد الامامين الكاظمين يعزونهما بالحسين عليه السلام.

وبقيت هذه السنة في العراق مدة الحكم البويهي. والعزاء الحسيني الذي يقام اليوم من آثار تلك السنة الكريمة ... ».

أقول: وهكذا كان معز الدولة البويهي قد أمر بالضرب على الصدر علناً

بهذه الكيفية التي نشاهدها اليوم، وأيده العلماء والفقهاء في عصره الى يومنا هذا.

٨ - علق الشيخ محمد جواد مغنية في الصفحة «٢٨» من كتابه « دول الشيعة في التاريخ » على قول السيد مير علي في كتابه مختصر تاريخ العرب: وهو أي معز الدولة البويهي جعل اليوم العاشر من المحرم يوم حزن لذكرى موقعه كربلاء. علق على ذلك بما نصه:

« أي جعله يوم حزن بصفة رسمية، تعطل فيه الدوائر الحكومية وتقفل الأسواق، وإلا فإن هذا اليوم هو يوم حزن عند الشيعة قبل المعز، ومنذ اليوم الأول الذي استشهد فيه سيد الشهداء عليه السلام .. ».

٩ - قال ابن الاثير في حوادث سنة «٣٥٢ هـ» ما عبارته:

« في هذه السنة أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم في عاشر المحرم، ويعطلوا الأسواق والبيع الشراء، ويظهروا النياحة على الحسين، ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنة قدرة على المنع ؛ لكثرة الشيعة ؛ ولأن السلطان منهم ... » [١].

واستطرد ابن الاثير في حوادث سنة «٣٨٩ هـ» وقال: « وكذلك عمل السنة في ١٨ محرم مثل ما عمل الشيعة يوم عاشوراء، وقالوا: هو يوم قتل فيه مصعب بن الزبير ... » [٢].

١٠ - جاء في الصفحة «٤٠» من كتاب « دول الشيعة في التاريخ » المار الذكر، ما لفظه:

« وما اقتصر آل بويه في خدمة التشيع على مظاهر الفرح يوم الغدير، وشعائر الحزن يوم عاشوراء، بل كانوا يبذلون جهدهم في خدمة أهل البيت بشتى الوسائل ».

١١ - وفي الصفحة «٣٨» من نفس الكتاب، نقلاً عن كتاب مختصر تاريخ

---

(١) الكامل لابن الأثير ٨: ٥٤٩.

(٢) الكامل لابن الأثير ٩: ١٥٥.

العرب للسيد مير علي يقول:

« وكان معز الدولة محباً للفنون والعلم، وهو الذي جعل اليوم العاشر من المحرم يوم حزن لذكرى موقعة كربلاء .. ».

وقد علق الشيخ مغنية على هذا القول: « بأنه جعله يوم حزن بصفة رسمية » كما مر ذلك.

١٢ - قال محمد كرد علي في كتابه « خطط الشام » صفحة «٢٥١» عن فرقة المتأولة - أي الشيعة - عند ذكر مأتم الحسين ما نصه:

« ويجتمع الشيعة في أيام عاشوراء، فتقيم المآتم على الحسين بن علي شهيد كربلاء عليه السلام وعهدهم بذلك بعيد يتصل بعصر الفاجعة. وأول من رثاه أبو باهل الجمحي بقصيدة يقول فيها:

تبيت النشاوى من أمية نوماً وبالطف قتلى ما ينام حميمها [١]

والظاهر من سيرة ديك الجن الحمصي في كتاب الأغاني [٢]: أن هذه الاجتماعات للمآتم كانت معروفة في زمانه ثم إن بني بويه أيام دولتهم عنوا بها مزيد العناية، ولا تزال الى اليوم تقام في جميع أقطار الشيعة وليست هي من المفروض كما يتوهم بل يستحبونها، لأنها تصدر عن ولاء ومحبة .. ».

وعلى ذكر ديك الجن، الشاعر الشهير، وحضوره بعض اجتماعات المآتم الحسينية أنقل تالياً بعض الأبيات المنقولة عنه في البكاء على الامام الشهيد عليه السلام ورثائه، وهي:

جاءوا برأسك يا بن بنت محمد مترملاً بدمائه تترميلا

وكأنما بك يابن بنت محمد قتلوا جهارا عامدين رسولا

قتلوك عطشانا ولما يرقبوا في قتلك التنزيل والتأويلا

---

(١) الأغاني ٧: ١٣٨ والصحيح أن الشاعر أبو دهبل كما ورد.

(٢) الأغاني ١٤: ٥١.

ويكـــــبرون بـــــأن قتلـــــت وإنمـــــا قتلـــــوا بـــــك التكبـــــير والتهلـــــيلا [1]

وديك الجن، هو أبو محمد عبد السلام بن رغبان، وقد توفي سنة ٢٣٦، أو ٢٣٥ هـ.

١٣ - جاء في الصفحة «٨٤» من كتاب « تاريخ كاظمين » باللغة الفارسية. لمؤلفه ميرزا عباس فيض، ما ترجمته:

« وفي عاشوراء سنة ٤٢٣ هـ ١٠٣١ م وعلى عهد جلال الدولة البويهي، اجتمع لفيف من شباب الشيعة الامامية من سكان الكرخ في مسجد براثا وارتقى الخطيب المنبر، وشرع في بيان النهضة الحسينية وأسباب قيام الامام عليه السلام ضد الظلم والبغي والاستبداد، ثم سرد فاجعة يوم عاشوراء سنة «٦١ هـ» وما جرى على الحسين الشهيد وآله وصحبه، من فتك وقتل وسبي، على يد جلاوزة بني أمية. مما أثار شعور المسلمين وألهب فيهم روح الحماس، وبعد نزول الخطيب من المنبر تكتل المجتمعون الذين جاشت عواطفهم في هذا اليوم الفجيع والتحقق بهم عدد كبير من سكان تلك النواحي وساروا نحو المشهد الكاظمي، لاطمين على صدورهم ورؤوسهم، باكين نائحين، ومرددين عبارات الحزن والأسى غير آبهين بأي شيء. ومهرولين تحت تأثيرحماء الحزن والكآبة لفاجعة كربلاء من ذلك المسجد حتى انتهوا الى مشهد الامامين الكاظمين، وقد أقاموا فيه المناحة والنياحة طيلة ذلك اليوم، مما لم يسبق له مثيل حتى ذلك التاريخ ... ».

١٤ - جاء في الصفحة «٢٨٦» من تاريخ الكامل لابن الأثير المجلد التاسع في حوادث سنة ٤٢٢ هـ، ما نصه:

« زار الملك جلال الدولة، أبو طاهر، بن بهاء الدولة، بن عضد الدولة، بن بويه مرة مشهدي علي والحسين عليهما السلام . وكان يمشي حافياً قبل أن يصل الى كل

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٤٤، مناقب ابن شهر آشوب ٤: ١١٧، وفي كلا المصدر بن عز خالد بن معدن.

مشهد منهما نحو فرسخ، يفعل ذلك تديناً ... ».

١٥ - جاء في الصفحة «٨٧» من كتاب « التشيع والشيعة » لمؤلفه أحمد الكسروي، عند ذكر آل بويه ما نصه:

« فمن الواضح أن الشيعة قد رجوا من ذكر مصاب الحسين والنواح عليه فوائد لهم. والظاهر من الكتب أنهم ابتدأوا بها من زمن آل بويه في بغداد، حيث كان التنافس بين الفريقين شديداً، والمشاحنات دائبة. كان السنيون يتخذون عاشوراء يوم سرور لهم لأنها عندهم من الأيام المتبركة، والشيعة يتخذونها يوم غم ومأتم، فيجتمعون في مجتمع، أو ينشد لهم المنشد أشعاراً، فيبكون وينوحون .. ».

١٦ - ذكر ابن كثير المتوفى سنة «٧٧٤ هـ» في تاريخه « البداية والنهاية » ما نصه:

« إنه في سنة ٣٥٢ هـ أمر معز الدولة أحمد بن بويه في العشر الأول من المحرم ببغداد بإغلاق جميع أسواق بغداد ويبطلون البيع والشراء، وأن يلبس الناس السواد وأن يقيموا مراسم العزاء ويظهرون النياحة، وأن يخرج الرجال والنساء لاطمي الصدور والوجوه، وكانوا بهذه الحالة يأتون مشهد الامامين الكاظمين يعزونهما بالحسين عليه السلام. والعزاء الحسيني الذي يقام الآن في العالم الاسلامي هو من آثار تلك السنة. وقد توفي معز الدولة سنة ٣٥٦ هـ ودفن في داره ثم نقل الى مقابر قريش حيث بني له مشهد فيها ».

* * *

تم الجزء الأول ويليه الجزء الثاني

تقريظ الجزء الأول من الكتاب

نشرت مجلة « الإخاء » الغراء التي تصدر باللغة العربية في طهران بعددها «٣٢٦» المؤرخ في ٢٦ ربيع الأول «١٣٩٤ هـ» الكلمة التالية في التعريف بالجزء الأول من هذا الكتاب ومؤلفه:

تاريخ النياحة

للاستاذ السيد صالح الشهرستاني

عرف الأستاذ السيد صالح الشهرستاني بولعه واهتمامه الشديدين في البحث في بطون الكتب - المطبوعة والمخطوطة - واستخراج ما يصلح منها للدراسة والاستزادة في العلم والمعرفة، ليتحف الراغبين بنتاج فكره وجهده في مقالات يكتبها وكتب يضعها.

ولقد أسهم السيد صالح الشهرستاني لفترة ليست بالقصيرة في الكتابة في مجلة « الإخاء » وكان له الفضل في تعريف قراءها بقضايا تاريخية ولغوية واجتماعية، فله من أسرة « الإخاء » وافر الشكر وعظيم التقدير.

وقد أهدانا أخيراً الجزء الأول من كتابه القيم وهو بعنوان « تاريخ النياحة على الامام الشهيد الحسين بن علي عليهما السلام » فتصفحناه ووجدنا فيه ما لم يتطرق اليه باحث من قبل في هذا الشأن، مما يدل على الجهد الضخم الذي بذله الاستاذ السيد صالح الشهرستاني في استقصاء المعلومات من كتب عديدة اعتمدها مصادر لمؤلفه الجديد، حتى خرج بهذا الشكل والمضمون.

ولا يسعنا إلا أن نقدم لسيادته شكرنا وتقديرنا، راجين له الموفقية في أعماله وداعين له بالعمر المديد والصحة والسعادة.

الفهرس

تقديم ٧
مقدمة المحقق ١٣
مقدمة المؤلف ٢١
الفصل الأول: النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه أول من بكوا الحسين عليه السلام ٢٣
الفصل الثاني: بكاء علي وفاطمة على ابنهما ٣١
الفصل الثالث: أهل الحجاز يبكون الحسين عليه السلام عند مفارقته لهم ٣٧
الفصل الرابع: الحسين عليه السلام يتنبأ الكارثة ٣٩
الفصل الخامس: الحسين عليه السلام ينعى نفسه ويبكي آله ٤٥
الفصل السادس: النياحة على آل الحسين عليه السلام ٥١
الفصل السابع: أعداء الحسين عليه السلام يبكونه ٥٥
الفصل الثامن: نساء الحسين عليه السلام يندبنه في ساحة المعركة ٥٧
الفصل التاسع: بنو أسد تدفن أجساد الشهداء ٦٣
الفصل العاشر: أهل الكوفة ينوحون على الحسين عليه السلام وأهله ٦٥
الفصل الحادي عشر: الشام ومناحتها على الحسين عليه السلام وأهله ٧١
الفصل الثاني عشر: نوح السبايا والصحابة يوم أربعين استشهاد الحسين عليه السلام ٧٧
الفصل الثالث عشر: مدينة الرسول تندب الحسين عليه السلام وآله ٨١
الفصل الرابع عشر: أول نياحة على الحسين عليه السلام وآله في مصر ٩١
الفصل الخامس عشر: اول من رثى الحسين عليه السلام بعد دفنه ٩٩
الفصل السادس عشر: موقف الأمويين من النياحة على الحسين عليه السلام ١٠٧
الفصل السابع عشر: التوابون ينوحون الحسين عليه السلام ويثورون على الأمويين..... ١١١
الفصل الثامن عشر: بكاء الائمة على الحسين عليه السلام ١١٧
الفصل التاسع عشر: نياحة المشايخ والصحابة والعظماء على الحسين عليه السلام ... ١٣٩
الفصل العشرون: النياحة على الحسين عليه السلام في عهد الأمراء البويهيين..... ١٤٧